الأجوبة العلمية في

نقض شبهات القبورية



كتبه

أبو زيد عبد الكريم الكثيري

-وفقه الله تعالى-

ذي القعدة _ ١٤٤٥



الأجوبة العلمية في

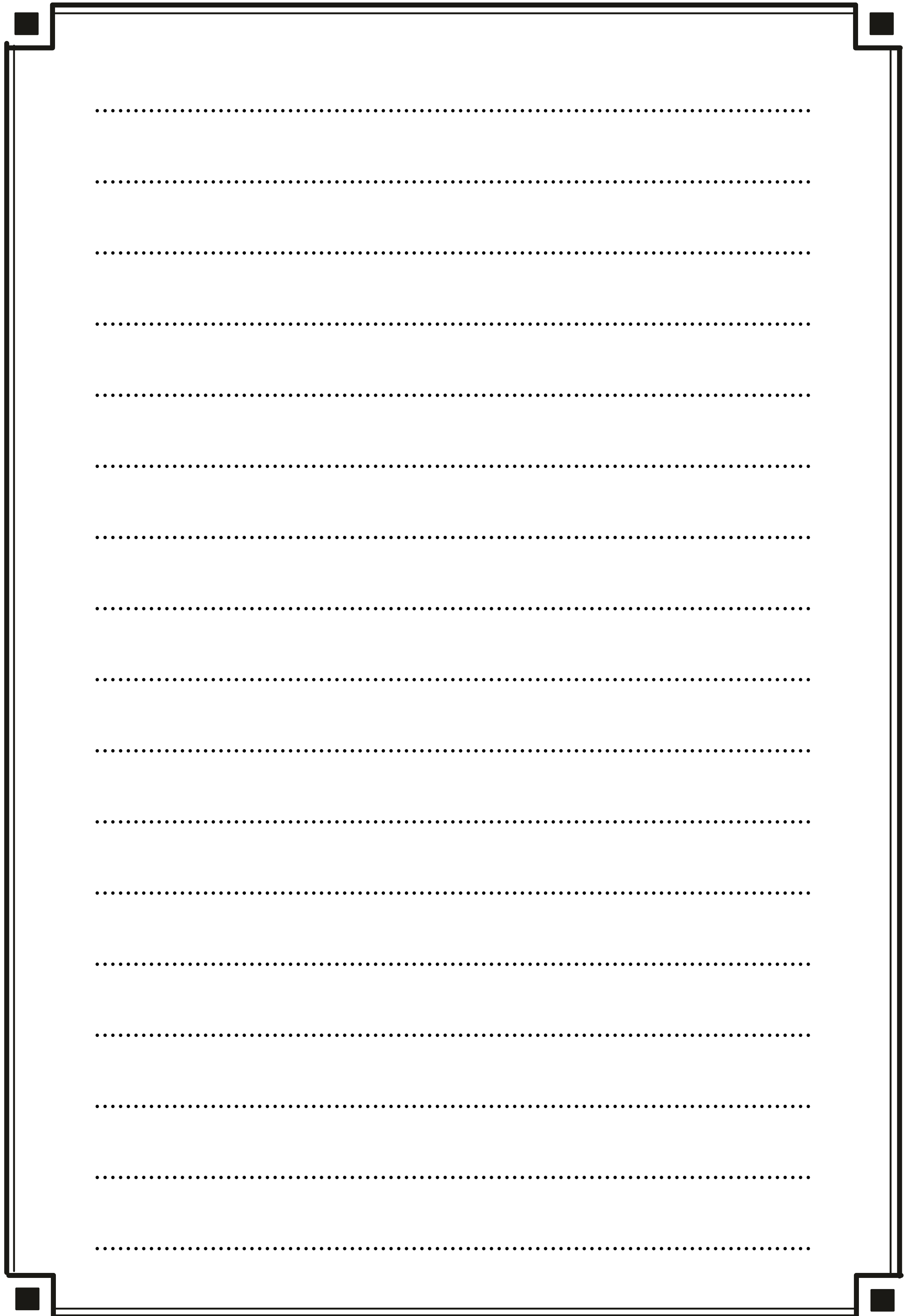
نقض شبهات القبورية

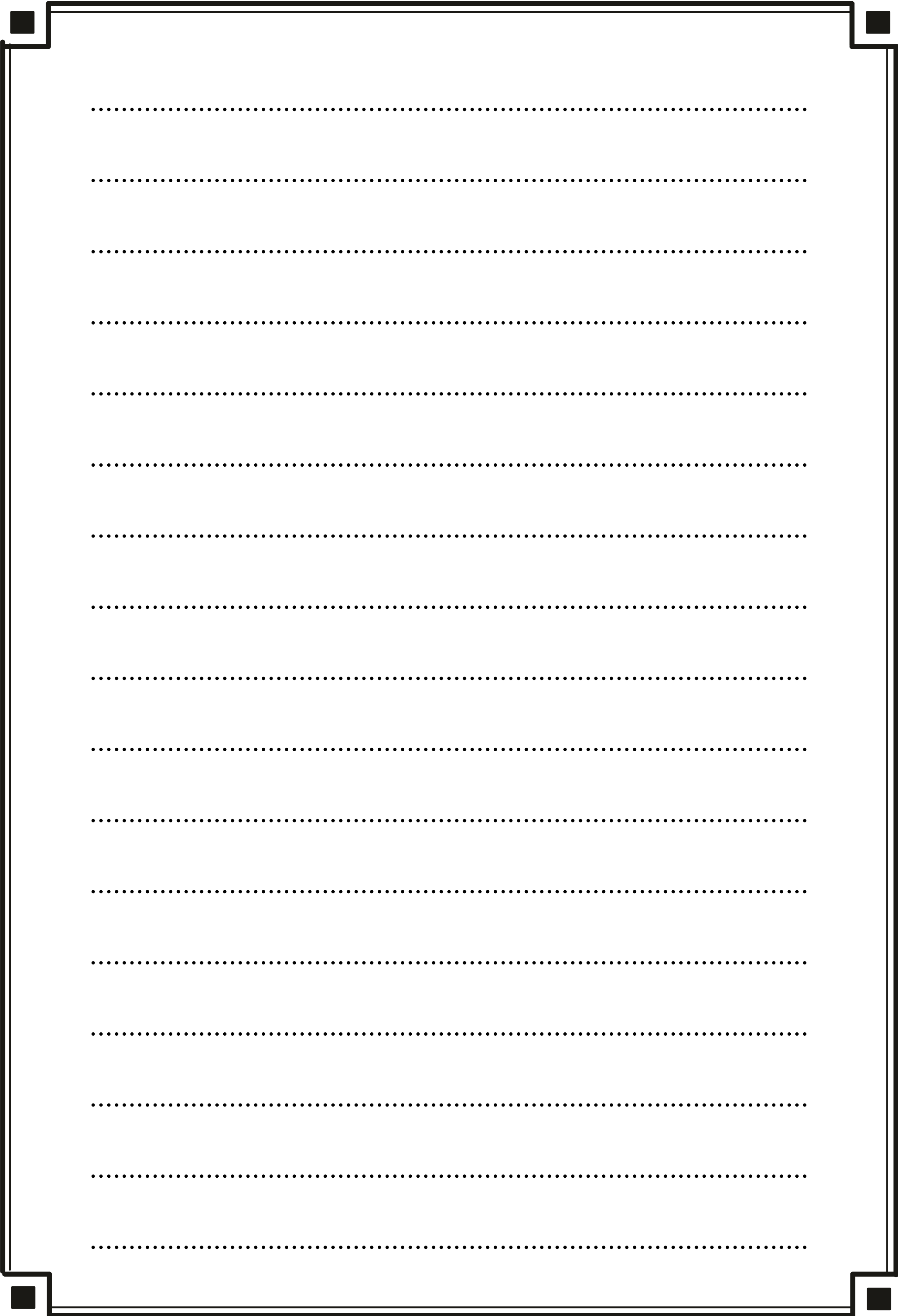


كتبه

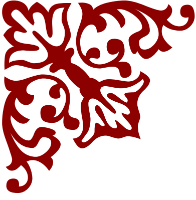
أبو زيد عبد الكريم الكثيري

-وفقه الله تعالى-






بسم الله الرحمن الرحيم



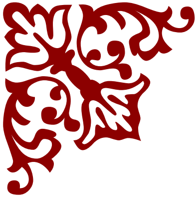

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فهذه أجوبة علمية جاءت على نسق واحد تتعلق بمسائل شرك الشفاعة من التوسط بالموتى في السؤال والطلب أحببت جمعها بكتاب واحد حتى يسهل الإنتفاع بها والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



جَوَابٌ حَوْلَ

طَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ المَيِّتِ

جواب حول طلب الدعاء من الموتى

فهذا جواب سؤال أرسله لي بعض الفضلاء من طلبة العلم -وفقه الله وسدده- طالبا مني تأصيلا مختصرا حول مسألة «**طلب الدعاء من الميت**»، ومناقشة الشبهات التي يلقيها القبوريون من الصوفية والرافضة ومن سلك سبيلهم في تحريف مفهوم الشرك من أدعياء السلفية والأثرية المحرفة والله المستعان.

وستكون هذه النشرة فيها تأصيل للمسألة وبيان أصول أدلتها باذن الله وفي نشرة لاحقة إن شاء الله أناقش فيها الشبهات التي يرددها المعارضون من الخرافيين وأزواجهم وأضرابهم.

فأقول وبالله التوفيق:

في البداية مقالة عامة الخرافيين من عباد القبور في طلب الدعاء من الموتىٰ أنه مشروع وهو من جنس التوسل بهم إلىٰ الله تعالىٰ كذا يقولون....

أما مقالة أدعياء السلفية فيقولون هي من جنس البدع المحرمة وليست شركا أكبر ناقلا عن الملة.

ومقالة كلا الطائفتين فيها جهل شديد وتخبط ظاهر بأمور ثلاثة:

أولا: حقيقة العبادة وحقيقة الشرك الأكبرأي صرف العبادة لغير الله.

ثانيا: التفريق بين متماثلين وهما طلب الدعاء من الميت وطلب الشفاعة من

الميت.

ثالثا: الجهل بحقيقة شرك الشفاعة الذي كفر الله تعالىٰ به أهل الجاهلية.

فهذه الأصول الثلاثة أركان المسألة والحاكمة في فهمها وضبطها.

❑ فأولا: العبادة ما أمر الله تعالى من قول وعمل ظاهر وباطن

فالعبادة هي الدين الذي شرعه الله تعالىٰ لعباده منه ما هو قول كالدعاء ومنه ما هو عمل كالصلاة والسجود ومنه ما هو باطن كالأعمال القلبية من الإخلاص والمحبة ونحوها.

ثم هذه العبادة بين الله تعالىٰ في سنة نبيه ﷺ صفتها فبين لنا كيف نصلي؟ وكيف نسجد؟ وكيف نطوف؟ وهكذا.

فمن فعل هذه الصفة التعبدية لله وحده فقد عبد الله ظاهرا.

ومما بين لنا أيضا كيف ندعو؟ وكيف نسأل؟ وكيف نتشفع؟

فمن أحدث صفة تعبدية جنسها مشروع كتخصيص الصلاة لله في مكان لم يشرع أو زمان لم يشرع فهذا قد وقع في البدعة وهذه حقيقة البدعة غير المكفرة في باب العبادات.

فصاحب البدعة غير المكفرة في العبادات يخترع صفة تعبد جنسه مشروع كالصلاة والذكر في زمان أو مكان أو هيئة لم تشرع بنص خاص فيها.

أما الذي جعل نفس الصفة التعبدية التي شرعها الله للعباد من قول أو عمل ظاهر أو باطن لغيره من المخلوقات فهذا وقع في الشرك الأكبر واتخذ من دون الله أندادا **فهذا ضابط الشرك الأكبر عند السلف.**

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢].

١- روى **الطبري في تفسيره:** حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [سورة البقرة:٢٢]، قال: «الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، **وجعلوا لها مثل ما جعلوا له**».

قلت: انتبه لقول ابن زيد رحمه الله: «**جعلوا لها مثل ما جعلوا له**».

فالمشرك المندد جعل لمعبوداته مثل ما جعل لله تعالىٰ في صفة التعبد فسجد لها كما يسجد لله وركع لها كما يركع لله ودعاها وسألها كما يسأل ويدعو الله تعالىٰ هذه حقيقة الشرك الأكبر في العبادة.

فإذا علمت وأدركت الفرق بين البدعة المجردة في العبادة وهي إحداث صفة تعبد جنسها مشروع لكن لم يأت الدليل الخاص عليها.

وبين من جعل الصفة التعبدية المشروعة والمخصوصة بوصف معين لغير الله تعالىٰ مثل ما يجعلها لله تعالىٰ.

علمت أن القوم يخلطون بين حقيقة البدعة في العبادة والشرك الأكبر في العبادة وهذا الذي حصل لإخوانهم في الإرجاء الغالي من أمثال الدكتور سلطان العميري في كتابه المسلك الرشيد وغيره.

وبالمثال يتضح المقال:

هناك فرق بين رجل سجد لله تعالىٰ بتخصيص مكان لم يخصص من جهة النص **فهذا وقع في بدعة.**

وبين رجل آخر سجد السجود الذي صفته معلومة وهو [وضع الجبهة علىٰ

الأرض] لمخلوق مثله **فهذا قد وقع في الشرك الأكبر** وهذا عام في كل العبادات الظاهرة والباطنة.

فالمقصود أن طلب الدعاء من الميت هل جنسه مشروع أو ممنوع؟

الجواب: لم يشرع الله قط طلب الدعاء من الموتىٰ فجنسه ممنوع بذاته فلا يكون من جنس البدع المجردة في العبادات لأنها كل البدع المجردة في أبواب التعبد جنسها مشروع.

٢ - روى الدارمي في مسنده: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ -إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ

أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ» قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ "، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ.

٣ - وروي **عن ابن عمر أنه:** «نزل الكوفة في بعض الأحياء فنودي بالصبح في مسجد أولئك الحي فخرج إليهم ليصلي معهم فلما ثوبوا قال أليس قد نودي للصلاة قالوا بلىٰ قال فما يقول هذا قالوا أن هذا شيء يصنعونه عند ضوء الصبح إذا أضاء لهم فقال **أن هؤلاء قد ابتدعوا لا نصلي معهم فانصرف إلىٰ منزله فصلىٰ فيه**». [(١)]

٤ - وعن **أبي العالية قال:** «كنا مع ابن عمر في سفر ونزلنا بذي المجاز علىٰ ماء لبعض العرب فحضرت الصلاة فأذن مؤذن ابن عمر ثم أقام الصلاة فقام رجل فعلا علىٰ رحل من رحالات القوم ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته الصلاة يا أهل الماء الصلاة فجعل ابن عمر يسبح في صلاته حتىٰ إذا قضت الصلاة قال ابن عمر من الصائح بالصلاة قالوا أبو عامر يا أبا عبد الرحمن فقال له ابن عمر لا صليت ولا تليت أي شيطانك أمرك بهذا **أما كان في الله وسنة نبيه ﷺ والصالحين ما أغنىٰ عن بدعتك هذه**

---

(١) رواه سعيد

أن الناس لا يحدثون بدعة وأن رأوها حسنة إلا أماتوا سنة فقال رجل من القوم إنه ما أراد إلا خيرا يا أبا عبد الرحمن فقال ابن عمر لو أراد خيرا ما رغب بنفسه عن سنة نبيه والصالحين من عباده». [٢]

٥- **وعن مجاهد قال:** «كنت مع ابن عمر فثوب رجل في الظهر أو العصر فقال اخرج بنا **فإن هذه بدعة**». [٣]

٦- **جاء في «شرح عمدة الفقه من كتاب الصلاة» (ص١١١):** عن مجاهد قال: لما قدم عمر مكة فأذن أبو محذورة ثم أتىٰ عمر فقال الصلاة يا أمير المؤمنين حي علىٰ الصلاة حي علىٰ الفلاح قال عمر: «أما كان في دعائك الذي دعوتنا إليه أولا ما كفاك **حتىٰ تأتينا ببدعة تحدثها لنا**». [٤]

فكل البدع التعبدية جنس التعبد فيها مشروع عموما لكن البدعة تكون في التخصيص.

فطلب الدعاء من الميت جنس التعبد به غير مشروع ولا معروف في دعوة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، بل هو دين المشركين أهل الجاهلية والخرافة.

فهنا يظهر لك غلط وضلال من زعم أنه بدعة مجردة كبدع التعبد العملي لأن هذه الأخيرة جنس التعبد بها مشروع بخلاف سؤال الموتىٰ الدعاء فانتبه.

---

[٢] رواه ابن بطة في جزء صنفه في الرد علىٰ من صاح عند الآذان الصلاة الإقامة

[٣] رواه أبو داود في سننه

[٤] رواه سعيد وابن بطة

❑ ثانيا: غلاة المرجئة أعاجم اللسان والفهم لذلك يفرقون بين المتماثلين

وذلك تجد منهم من يجعل طلب الشفاعة من الميت بنفسها شرك أكبر بخلاف طلب الدعاء من الميت.

ومنهم من اطرد وسوىٰ بينهم لعلمه بعدم الفرق بينهما وهذا فهم التماثل.

فالشفاعة حقيقتها في اللغة وعرف السلف الصالح هي الطلب بتوسط الشافع للمشفوع له عند الشفيع.

٧- **جاء في كتاب «العين» (١/ ٢٦١):** «**والشَّافعُ: الطالب لغيره**: وتقول استشفعت بفلان فتشفع لي إليه فشَفَّعَهُ فيّ.

والاسم: الشفاعة.

واسم الطالب: الشَّفيع.

قال: زَعَمَتْ معاشر أنّني مُسْتَشْفِعٌ ... لمّا خرجتُ أزورُه أقلامها

أي: زعموا أني أستشفع (بأقلامهم) أي: بكتبهم إلىٰ الممدوح. لا: بل إنّي أستغني». انتهىٰ

قلت: فجعل الخليل في الشفاعة الطلب للغير.

٨- **جاء في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٧٨):** «وروىٰ أَبُو عُمر عَن الْمبرد وثعلبٍ أَنَّهُمَا قَالَا فِي قَول الله تبارك وتعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. **قَالُوا: الشَّفَاعَة: الدُّعاء هَاهُنَا. والشفاعة: كَلَام الشَّفيع للملِكِ فِي حاجةٍ يسْأَلهَا لغيره...**

قَالَ: والشافع: الطالبُ لغيره يستشفِع بِهِ إِلَىٰ الْمَطْلُوب. وَتقول: تشفّعت لفلانٍ

إِلَىٰ فلَان فشفّعني فِيهِ، وَاسم الطَّالِب شفِيع.

وَقَالَ الْأَعْشَىٰ:

واستشفعتْ من سَراة الحيّ ذَا ثقةٍ... فقد عَصاها أَبوهَا وَالَّذِي شَفَعا».

قلت: وهذا الأزهري والمبرد وثعلب والليث من أئمة العربية جعلوا الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره فالشفاعة هي الدعاء والسؤال والطلب.

٩- وجاء في «المحكم والمحيط الأعظم» (١/ ٣٧٩) لابن سيده: «وشَفَعَ لي يَشْفَع شَفاعَةً، وتَشَفَّع: طلب.

والشَّفيع: الشافِع. والجمعُ شُفَعاء.

واسْتَشْفَع بفلان علىٰ فلَان، وتَشَفَّع لَهُ إِلَيْهِ، فشَفَّعَه فِيهِ. وَقَالَ الْفَارِسِي: اسْتَشْفَعَهُ: طلب مِنْهُ الشَّفاعة، أَي قَالَ لَهُ: كن لي شافِعا».

١٠- وجاء في «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٠١) لابن فارس: «(شَفَعَ) الشِّينُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُقَارَنَةِ الشَّيْئَيْنِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّفْعُ خِلَافُ الْوَتْرِ. تَقُولُ: كَانَ فَرْدًا فَشَفَعْتُهُ... **وَشَفَعَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ إِذَا جَاءَ ثَانِيَهُ مُلْتَمِسًا مَطْلَبَهُ وَمُعِينًا لَهُ**».

١١- وجاء في «لسان العرب» (٨/ ١٨٤): «وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ: طَلَب. والشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان عَلَىٰ فُلَانٍ وتَشَفَّع لَهُ إِليه فشَفَّعَه فِيهِ.

وَقَالَ الْفَارِسِيُّ: **اسْتَشْفَعه طلَب مِنْهُ الشَّفاعةَ أَي قَالَ لَهُ كُنْ لِي شافِعاً.**

وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [سورة النساء:٨٥].

وقرأ أبو الْهَيْثَمِ: «مَنْ يَشْفَعُ شَفاعةً حسَنة» أَي يَزْدادُ عَمَلًا إِلىٰ عَمَل.

وُرُوِيَ عَنِ الْمُبَرِّدِ وثعلب أَنهما قَالَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، قَالَا: الشَّفَاعَةُ الدُّعاءُ هَاهُنَا.

والشَّفاعةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغَيْرِه.

وشَفَعَ إِليه: فِي مَعْنَىٰ طَلَبَ إِليه.

والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلىٰ الْمَطْلُوبِ. يُقَالُ: تَشَفَّعْتُ بِفُلَانٍ إِلىٰ فُلَانٍ فَشَفَّعَنِي فِيهِ، وَاسْمُ الطَّالِبِ شَفِيعٌ؛ قَالَ الأَعشىٰ:

واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَراةِ الحَيِّ ذَا ثِقةٍ، ... فَقَدْ عَصاها أَبُوها وَالَّذِي شَفَعا

واسْتَشْفَعْتُه إِلىٰ فُلَانٍ أَي سأَلته أَن يَشْفَعَ لِي إِليه». انتهىٰ

قلت: هذا كلام أئمة العربية ونقلتها أن حقيقة الشفاعة هي السؤال والطلب من الغير ليتوسط لغيره في حصول المطلوب.

١٢- جاء في «تاج العروس من جواهر القاموس» (٢١/ ٢٨٢): «الشّافِع، وَهُوَ صاحبُ الشَّفاعَةِ والجَمعُ شُفَعاء، **وَهُوَ الطالبُ لغَيرِه يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلَىٰ المَطلوب**». انتهىٰ

فالذي يسأل الشفاعة من الميت هو يطلب منه أن يتوسط عند الله في حصول المطلوب والمرغوب من قضاء حاجة دينية أو دنيوية.

والذي يسأل الميت الدعاء هو يطلب منه أن يتوسط عند الله له في حصول المطلوب والمرغوب من قضاء حاجة دينية أو دنيوية.

فهنا شخص يريد أن يشفيه الله من مرضه فسأل ميتا أن يشفع أي يطلب له الله أن يشفيه من مرضه بقوله [**يا فلان وهو ميت اشفع أي أطلب لي عند الله أي يشفيني**].

وشخص آخر يريد أن يشفيه الله من مرضه فسأل الله ميتا أن يدعو الله له أي يطلب له الله بالشفاء من مرضه بقوله [**يا فلان وهو ميت ادع أي اطلب لي عند الله أن يشفيني**]

فالجملتان باب واحد فقط استبدلت لفظة اشفع بادع وكلاهما في لسان العرب بمعنىٰ السؤال والطلب.

فانظر لتناقض أدعياء السلفية حيث يفرقون بين الصورتين وكلاهما فيهما سؤال للغير بالتوسط عند الله في حصول المطلوب ولذلك بعضهم اطرد فجعل كلا الصورتين بدعة مجردة لعلمه بتناقض المفرق بينهما في الصيغة والله المستعان.

وقد شاع في عرف السلف جعل الشفاعة والاستشفاع هي بعينها طلب الدعاء من الغير.

١٣ - روى **البخاري في صحيحه:** حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللهِ بْنُ المُثَنَّىٰ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

قوله: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا**» التوسل هنا هو طلب الدعاء من النبي ﷺ لما كان حيا بين أظهرهم.

١٤ - روى **البخاري في صحيحه:** حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ

مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ **يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا**، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّىٰ ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّىٰ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ.

قلت: انتبه لقوله «فادع الله لنا» هذا مقصود عمر رضي الله عنه بقوله «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا**» أي بدعائه ﷺ.

وهذا التوسل وهو طلب الدعاء من الغير سمي شفاعة واستشفاعا.

١٥ – جاء **في «أنساب الأشراف للبلاذري» (٤/ ٧) قال:** وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْفَرْوِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ عُمَرَ يَوْمَ غَدَا لِيَسْتَسْقِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ مُتَوَاضِعًا خَاشِعًا عَلَيْهِ بُرْدٌ لا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالاسْتِسْقَاءِ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ وَالدُّمُوعُ تَجْرِي عَلَىٰ خَدِّهِ وَلِحْيَتِهِ، وَإِنَّ الْعَبَّاسَ لَعَنْ يَمِينِهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَعِجُّ إِلَىٰ رَبِّهِ وَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وَالْعَبَّاسُ قَائِمٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ مُلِحٌّ فِي الدُّعَاءِ وَعَيْنَاهُ تَهْمِلانِ**».

١٦ – وروى **أبو داود في سننه:** حدَّثنا عبدُ الأعلي بن حماد ومحمد بن المثنَّىٰ ومحمد بن بشَّار وأحمدُ بنُ سعيدِ الرّباطي، قالوا: حدَّثنا وهبُ بنُ جرير –قال أحمد: كتبناه من نسخته، وهذا لفظه– حدَّثنا أبي، قال: سمعتُ محمَّد بن إسحاق يُحدثُ، عن يعقوب بن عُتبةَ، عن جُبَير بن محمَّد بن جُبير بن مُطعِم، عن أبيه عن جَدِّه، قال:

أتىٰ رسولَ الله - ﷺ -أعرابيٌّ، فقال: **يا رسول الله - ﷺ -، جَهِدَتِ الأنفُسُ، وضَاعَتِ العيالُ، ونُهِكَتِ الأموالُ، وهَلَكت الأنعامُ، فاسْتَسْقِ الله ﷻ لنا، فإنا نستشفِعُ بكَ علىٰ الله،** ونستشفع بالله عليكَ، قال رسولُ الله - ﷺ -: "ويحَكَ! أتدري ما تقول؟ " وسبَّحَ رسولُ الله - ﷺ -، فما زال يُسَبِّحُ حتىٰ عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: "ويْحَكَ! إنه لا يُستشفَعُ بالله علىٰ أحدٍ مِن خلقه، شأنُ الله أعظمُ من ذلك، ويْحَكَ! أتدري ما الله، إن عَرشَه علىٰ سماواته لهكذا، -وقال بإصبعه مثلَ القُبّة عليه- وأنَّه ليَئِطُّ به أطِيطَ الرّحْلِ بالراكب " قال ابنُ بشَار في حديثه: "إن الله ﷻ فوقَ عرشِه، وعَرشُه فوقَ سماواته". وساقَ الحديث

قلت: فالاستشفاع والتوسل بالغير في عرف السلف هو طلب الدعاء من الغير.

١٧ - وروى **الفسوي في المعرفة**: حَدَّثَنَا ابو اليمان قال: حدثنا صَفْوانُ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ: أَنَّ السَّمَاءَ قَحطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وأهل دمشق يستسقون، فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ الْمِنبَرِ قَالَ: أَيْنَ يزيد بن الأسود الْجُرَشِيِّ؟ فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّىٰ النَّاسَ فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ فَصَعَدَ الْمِنبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: **اللَّهمّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللَّهمّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ. يَا يَزِيدُ ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَىٰ الله،** فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فما كان أو شك أَنْ فَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ كَأَنَّهَا تِرْسٌ وَهَبَّتْ لَهَا رِيحٌ فَسُقِينَا حَتَّىٰ كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ.

- وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْلَةَ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ بِدِمَشْقَ وَعَلَىٰ النَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفِهْرِيِّ فَخَرَجَ بِالنَّاسِ يستَسقَّىٰ فَقَالَ:

أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ.

ثُمّ قَالَ: أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ؟ عَزَمْتُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ كَلَامِي إِلَّا قَامَ. فَقَامَ عَلَيْهِ بُرْنُسٌ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَرَفَعَ جَانِبَيْ بُرْنُسِهِ عَلَىٰ عَاتِقَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **أَيْ رَبِّ إِنَّ عِبَادَكَ قَدْ تَقَرَّبُوا بِي إِلَيْكَ فأسقهم.**

قال: فانصرف الناس وَهُمْ يَخُوضُونَ الْمَاءَ. فَقَالَ: اللَّهمّ إِنَّهُ قَدْ شهرني فأرحني منه. قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جُمُعَةٌ حَتَّىٰ قَتَلَهُ الضَّحَّاك.

١٨ - روى **ابن أبي الدنيا في كتابه «مجابو الدعوة» (ص٨٨):** حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمِيرَةَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ السَّيْبَانِيِّ قَالَ: قَحَطَ الْمَطَرُ فِي زَمَنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَخَرَجُوا يَسْتَسْقُوا فَلَمْ يُصِبْهُمْ سَحَابٌ وَلَا مَطَرٌ، فَقَالَ يَزِيدُ لِلضَّحَاكِ بْنِ الْأَسْوَدِ: «**قُمْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَقَامَ وَكَشَفَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ وَأَلْقَىٰ بِرَأْسِهِ**، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَسْتَشْفِعُونَ بِي إِلَيْكَ فَاسْقِهِمَا فَلَمْ يَدْعُ إِلَّا بِهَا حَتَّىٰ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ**، كَادُوا أَنْ يَغْرَقُوا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ هَذَا سُهْدٌ لِي فَأَرِحْنِي مِنْهُ فَمَا لَبِثَ إِلَّا جُمْعَةً حَتَّىٰ مَاتَ».

قلت: فطلب يزيد من الضحاك بن الأسود أن يدعو الله لهم بالسقيا فقال «**اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَسْتَشْفِعُونَ بِي إِلَيْكَ**» فانظر كيف سماها استشفاعا...

والأدلة في ذلك كثيرة يتبين من خلالها أن طلب الدعاء من الغير هو شفاعة واستشفاع به، هكذا سمي لفظا ومعنىٰ في النصوص والآثار فمن فرق في التسمية والمسمىٰ فيجب عليه الدليل وليس بواجده حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط -ولله الحمد والمنة -.

قلت: من هنا تفهم أن من قال لميت [ادع الله لي أن يشفيني أو يغفر لي] فهو مستشفع بالميت أن يتوسط له في حصول مطلوب وهو الشفاء أو المغفرة.

فمن كفَّر من قال للميت [اشفع لي عند الله أن أشفىٰ من مرضي]،

ثم جعل من قال للميت [ادعو لي عند الله أن أشفىٰ من مرضي] مبتدعا فهو أضل من حمار أهله.

فأنصار الشرك والقبورية يفرقون باعتبار التسمية مع المسمىٰ واحد [وهو سؤال الميت التوسط في حصول الشفاء].

وهذا المعنىٰ هو الذي كفر الله به المشركين، بل نقل المتأخرون عليه الإجماع بأن من جعل بينه وبين وسائط يسألهم ليسألوا الله له فهو مشرك شركا أكبر.

❑ وهذا يقودنا للأصل الثالث:

وهو أن الجراجسة الجدد عندهم جهل واضح بحقيقة شرك الشفاعة الذي كفر الله تعالىٰ به أهل الجاهلية وسماهم به كافرين مشركين وقاتلهم النبي ﷺ عليه وجعل من مات منهم عليه في النار خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا ولهم عذاب مقيم.

شرك الشفاعة هو أن يتخذ الشخص واسطة بينه وبين الله تعالىٰ يسألها ويطلب منها أن تسأل الله له قضاء حاجة دنيوية أو دينية.

فالمشرك جعل الواسطة نفسها حال سؤالها أن تسأل الله تعالىٰ له كَالْحُجَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ بِحَيْثُ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إِلَىٰ اللهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [سورة يونس:١٨].

١٩ – **روى ابن أبي حاتم في تفسيره:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِيُّ ثنا الْحَكَمُ ابن أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَتْ لِي اللاتُ وَالْعُزَّىٰ قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [سورة الزمر:١-٣].

٢٠ – **قال الطبري في تفسيره:** حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قالوا: «ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا، إلا ليشفعُوا لنا عند الله».

٢١ – **حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قال: «قالوا هم شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقربوننا إلىٰ الله زلفىٰ يوم القيامة للأوثان، والزلفىٰ: القُرَب».

فالمشركون حين يسألون ويدعون أوثانهم وهم لا يريدون منها أن تفعل المطلوب والمرغوب لهم بنفسها فهم يعلمون عجزها وافتقارها وأنها لا تملك شيء.

ولكن يريدون بها أن تكون سببا في حصول المطلوب والمرغوب بالتوسط لهم عند الله وهذا لون من ألوان فعلهم الذي سماه الله تعالىٰ شركا وسماهم مشركين

كافرين.

ومما يكشف لك حقيقة ما عليه أهل الجاهلية من الشرك قصة الغرانيق:

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١﴾ [سورة النجم:١٩-٢١].

٢٢ - روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره قَالَ: أرنا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [سورة الحج:٥٢] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَعِيبَ اللهُ الشَّيْطَانَ وَآلِهَةَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فَقَالَ: **إِنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي يُدْعَىٰ، شَفَاعَتُهَا لَتُرْتَجَىٰ، وَإِنَّهَا لَبِالْغَرَانِيقِ الْعُلَىٰ**، فَنَسَخَ اللهُ ذَلِكَ وَأَحْكَمَ اللهُ آيَاتِهِ، فَقَالَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠].

فالمشركون فرحوا بهذه الكلمات مما ألقىٰ الشيطان بأن اللات والعزىٰ ومناة تدعىٰ وشفاعتها ترتجىٰ لأن هذا دينهم الذي به يدينون وإليه يدعون ويقاتلون.

فعندهم أن هذه الأوثان تدعىٰ بالشفاعة وقد تقدم معك أن حقيقة الشفاعة هي السؤال والطلب وهم جعلوها واسطة يرجون بها قضاء حاجاتهم عند الله تعالىٰ.

فالمشرك من لون شركه الذي كفره الله به وقوتل عليه هو: **[سؤال اللات والعزىٰ ومناة أن تشفع له عند الله أي تسأل وتطلب له عند الله تعالىٰ قضاء حاجة في الدنيا أو يوم القيامة].**

٢٣ - قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِيُّ، ثنا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ: قَالَ النَّضْرُ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَتْ لِي اللاتُ وَالْعُزَّىٰ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى

﴿ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [سورة الأنعام:٩٤].

- ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ ثنا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ قَالَ النَّضْرُ: **سَوْفَ تَشْفَعُ لِيَ اللاتُ وَالْعُزَّىٰ. فَنَزَلَتْ:** ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [سورة الأنعام:٩٤]. الآيَةَ.

- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ثنا أَسْبَاطٌ عَنِ السُّدِّيِّ: قَوْلَهُ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [سورة الأنعام:٩٤]. قَالَ: فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ يَزْعُمُونَ **أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الآلِهَةَ لأَنَّهُمْ شُفَعَاءُ لَهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَأَنَّ هَذِهِ الآلِهَةَ شُرَكَاءُ لِلَّهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ.**

- وقال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِيُّ ثنا الْحَكَمُ ابن أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَتْ لِي اللاتُ وَالْعُزَّىٰ قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ:** ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

٢٤ - وجاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٢/ ٢٤٨): ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ [سورة يونس:١٨]. إِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إِنْ عَبَدُوهُ ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: «**أَنَّ الأَوْثَانَ تَشْفَعُ لَهُمْ -زَعَمُوا- عِنْدَ اللهِ؛ لِيُصْلِحَ لَهُمْ مَعَايِشهمْ فِي الدُّنْيَا**».

فالمقصود أن المشركين اتخذوا وسائط لهم يسألونهم أن يسألوا الله تعالىٰ لهم قضاء الحاجات في الدنيا أو الآخرة.

وهذه الوسائط منها الحجارة ومنها الكواكب ومنها الملائكة، ومنها الأشجار، ومنها الموتىٰ وهذا محل المسألة.

فالذي يطلب من الميت الدعاء له عند الله ليقضي حاجته هو اتخذ وسائط بينه وبين الله تعالىٰ وهذا شرك المشركين.

وإلا فليخبرنا الجراجسة الجدد حكم من قال لميت وهو اللات [يا لات ادع الله لي].

أو [يا ود ويا سواع ويا يغوث ويا يعوق ويا نسر ادعوا الله لي أن يشفيني].

وهؤلاء قوم صالحون في أنفسهم عبدوا في قوم نوح ﷺ.

فمن سأل الأموات أن يسألوا الله له قضاء حاجة فقد اتخذهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله تعالىٰ وهذا حقيقة شرك الشفاعة.

قال الله تعالى ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر:٤٣-٤٤].

٢٥ - روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره: نا مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾** قَالَ: «هِيَ مِنَ الْآلِهَةِ، **اتَّخَذْنَاهَا لِتَشْفَعَ لَنَا**».

فقولهم [لتشفع لنا أي عند الله] أي [لتسأل الله لنا] وهذا مناط الشرك والكفر التوسط بسؤال الميت عند الله تعالىٰ.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ

﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [سورة النساء:١١٦-١١٨] الآية.

٢٦ - **قال الطبري في تفسيره:** حدثني المثنىٰ قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، يقول: **مَيْتًا.**

- **حدثنا** بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، أي: **إلا ميتًا لا رُوح فيه.**

- **حدثني** المثنىٰ قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، قال: و"الإناث" **كل شيء ميت ليس فيه روح: خشبة يابسة أو حجر يابس،** قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [سورة النساء:١١٩].

٢٧ - **قال ابن أبي حاتم في تفسيره:** حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَنْبَأَ بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قَالَ: **مَوْتَىٰ.**

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ [سورة النحل:٢٠-٢٢].

٢٨ - **قال الطبري في تفسيره:** «يقول تعالىٰ ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: والذين تدعون من دون الله أيها الناس ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ﴾ وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.

٢٩ - كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ **وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا»**.

فالمشركون سألوا الأموات أن يشفعوا لهم أي يسألوا الله تعالىٰ ويدعونه لهم ليقضي حاجاتهم فجعلهم الله مشركين كافرين لا توحيد ولا إخلاص لهم.

فالخلاصة أن من سأل ميتا الدعاء له حكمه حكم من سأله الشفاعة له وهذا بعينه شرك الشفاعة.

من زعم مناط الشرك أن يسأل العبد الميت ما لا يقدر عليه إلا الله من خصائص الربوبية كما يزعمه الدكتور العميري ومن تابعه من الأغمار والنوكىٰ.

فهذا يلزمه ألا يكفر من سأل الميت الشفاعة لأن الشفاعة طلب وسؤال في اللغة وعرف السلف والعباد يقومون بها في الدنيا بعضهم لبعض حي لحي وفي الآخرة بعد إذن الله للشفيع، فالشفاعة بمعنىٰ أن يسأل العبد ربه سبحانه خروج عباد من النار ليست من خصائص الربوبية.

بل ملك الشفاعة كلها ولا يشفع في الآخرة إلا بعد إذنه هو الذي من خصائص الربوبية.

ثم ما الدليل والحجة أن الميت قادر علىٰ إجابة الدعاء لمن سأله؟

بالعكس الميت ليس بقادر، بل هو عاجز لا يتحرك أن يجيب من نفسه دعاء من طلب منه بخلاف الحي فأسباب القدرة فيه ظاهرة.

أما الميت فأسباب القدرة فيه منتفية لأنه لا يتحرك أي يفعل من نفسه كالحي.

٣٠ - جاء في «نقض الدارمي على المريسي» (١/ ٣٥٦): «فَإِنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الْحَيِّ، وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكُ، وَمَا لَا يَتَحَرَّكُ فَهُوَ مَيِّتٌ، لَا يُوصَفُ بِحَيَاةٍ، كَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَصْنَامَ الْمَيِّتَةَ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾، فَالله الْحَيّ الْقَيُّومُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، يَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، بِخِلَافِ الْأَصْنَامِ الْمَيِّتَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ حَتَّىٰ تُزَالَ».

وسيأتي إشباع نقض هذه السخافة العلمية والسفاهة الجرجيسية في النشرة القادمة.

والتي سأخصصها لنقض الشبهات التي يذكرها الجراجسة الجدد في هذه المسألة بإذن الله.

وفي الأخير تدبر هذه الأصول الثلاث التي اختصرتها لك.

وفي القادم نقض لضلالاتهم وشبهاتهم وفيه ما تقر به عيون الموحدين ويسخن أعين المشركين الملحدين الذي نقضوا شرك الطاعة بالإرجاء الغالي فجعلوا من أظهر الموافقة علىٰ تحكيم الشرك لا يكفر حتىٰ يستحل بقلبه ونقضوا إجماعات سلفية راسخة.

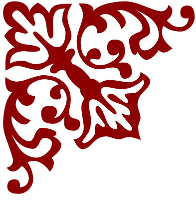
وهاهم اليوم اصطادهم الشيطان في نقض شرك العبادة والشفاعة بالتخفيف والترخيص.

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به والحمد لله علىٰ العافية ظاهرا وباطنا.



جَوَابٌ حَوْلَ

خَبَرِ مَالِكِ الدَّارِ

جواب حول خبر مالك الدار

فمن الأخبار التي يروج من خلالها القبريون شركهم وإفكهم خبر مالك الدار والعجب ليس في ذاك القبوري المشرك حين يحتج بقصة علىٰ جواز ما يفعله ولكن العجب كل العجب من ذياك السلفي داعية التوحيد المزعوم والذي يقول **أن طلب الدعاء من الموتىٰ بدعة منكرة ولا يشرع ثم يحتج بخبر يدل جواز الفعل ومشروعيته....**

وهذا -لمن عقل- لهو الحمق بعينه وسفاهة الأحلام في أظهر صورها...

ولكن القوم صرعىٰ الإرجاء الغالي الذي أعمىٰ أبصارهم وجعل بينهم وبين حقيقة التوحيد الخالص حجابا فهم لا يبصرون والله المستعان علىٰ محنة الإسلام من جهل الأثرية المحرفة وبغي القبوري ذي العدوان.

فسمة هؤلاء المتلونين علىٰ اختلاف آرائهم وتوجهاتهم هي الحماقة العارمة العاتية في سوق الدليل وصفة الإستدلال فيحتج بدليل يدل المشروعية علىٰ حكم المنع والتحريم بل والبدعة عنده...

٣١ - روى **ابن الأعرابي في معجمه**: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ، نا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، نا الْجَارُودُ بْنُ يَزِيدَ، نا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ يُونُسَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: هِجْرَانُ الْأَحْمَقِ قُرْبَةٌ إِلَىٰ اللهِ

ثم أقول وبالله التوفيق أن الخبر الذي يشوش به الجراجسة الجدد في التخفيف من شأن الشرك والتنديد

٣٢ - هو ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه فقال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ، قَالَ: وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ، قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مسقيون وَقُلْ لَهُ: عَلَيْكَ الْكَيْسُ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ "، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

❑ **هذا الخبر يروى على وجه واحد من طريق:**

➢ أبي معاوية وهو الضرير محمد بن خَازم الكوفي وهو ثقة حافظ في حديث الأعمش خاصة لكثرة ما يردده إلا أنه قد يخطئ عن الأعمش قليلا.

قلت: ويتقدمه في التثبت في حديث الأعمش أئمة كيحيي بن سعيد القطان وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وأبو الصلت زائدة بن قدامة الكوفي ويحيي بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني الكوفي وحفص بن غياث ثم يأتي أبو معاوية في الطبقة الثانية أو الثالثة بعد هؤلاء

٣٣ - قال عبد الله في «العلل» (٦٨٨): سمعت أبي يقول: كان أبو معاوية إذا سئل عن أحاديث الأعمش يقول: قد صار حديث الأعمش في فمي علقمًا أو أمرَّ من العلقم؛ لكثرة ما يردد عليه حديث الأعمش.

٣٤ - قال عبد الله في «العلل» (٧٢٦)، (٢٦٦٤): قال أبي: أبو معاوية الضرير في

غير حديث الأعمش

مضطرب لا يحفظها حفظًا جيدًا.

٣٥ - قال عبد الله في «العلل» (١١٩٦)، (١٢٨١): سمعته يقول: قال أبو معاوية: كنا إذا قمنا من عند الأعمش كنت أمليها عليهم.

قال أبي: مثل الأحدب ويعلىٰ.

قال أبي: أبو معاوية من أحفظ أصحاب الأعمش.

قلت له: مثل سفيان؟

قال: **لا، سفيان في طبقة أخرىٰ مع أن أبا معاوية يخطئ في أحاديث من أحاديث الأعمش**، وزعم جرير الرازي قال: كنا نرقعها عند الأعمش يكتب ذا من ذا وذا من ذا.

٣٦ - قال عبد الله «العلل» (٢٦٨٠): قلت له: أبو معاوية فوق شعبة، أعني: في حديث الأعمش؛ فقال: أبو معاوية في الكثرة والعلم -يعني: علمه بالأعمش- شعبة صاحب حديث يؤدي الألفاظ والأخبار، **أبو معاوية عن عن، مع أن أبا معاوية يخطئ علىٰ الأعمش خطأ**.

قلت له: بعد أبي معاوية شعبة أثبت؟ فقال: شعبة أثبت في كل شيء.

➢ عن الأعمش سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي مولاهم الكاهلي الكوفي من أئمة الإسناد والقراءات والحديث ما نقم عليه إلا التدليس.

٣٧ - جاء في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٢٤): «سليمان بن مهران [ع] الكاهلي الكوفي الأعمش، أبو محمد أحد الائمة الثقات، عداده في صغار التابعين، ما نقموا

عليه إلا التدليس.

٣٨ - قال **الجوزجاني:** قال وهب بن زمعة المروزي: سمعت ابن المبارك يقول: إنما أفسد حديث أهل الكوفة أبو إسحاق، والأعمش.

٣٩ - وقال **جرير بن عبد الحميد:** سمعت مغيرة يقول: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعيمشكم هذا؟]

كأنه عنىٰ الرواية عمن جاء، وإلا فالأعمش عدل صادق ثبت، صاحب سنة وقرآن، ويحسن الظن بمن يحدثه، ويروي عنه، ولا يمكننا أن نقطع عليه بأنه علم ضعف ذلك الذي يدلسه، فإن هذا حرام] انتهىٰ

وقد وصفه بالتدليس سفيان الثوري وهو من أثبت الناس فيه

٤٠ - روى **ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل:** نا حماد بن الحسن بن عنبسة ثنا أبو داود عن زائدة قال كنا نأتي الأعمش فيحدثنا فيكثر ونأتي سفيان الثوري فنذكر تلك الأحاديث له فيقول: ليس هذا من حديث الأعمش، فنقول هو حدثنا به الساعة فيقول: اذهبوا فقولوا له إن شئتم، فنأتي الأعمش فنخبره بذلك فيقول: صدق سفيان ليس هذا من حديثنا.

٤١ - قال **البغوي في الجعديات:** حَدَّثَنَا ابْنُ زَنْجُوَيْهِ، نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِهُشَيْمٍ: لِمَ تدَلِّسُ، وَأَنْتَ كَثِيرُ الْعِلْمِ؟ قَالَ: كَبِيرَاكَ دَلَّسَا، الْأَعْمَشُ وَسُفْيَانُ.

٤٢ - قال **الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٢٤):** «قلت: وهو يدلس أي الأعمش، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرىٰ به، فمتىٰ قال حدثنا فلا كلام، ومتىٰ قال " عن " تطرق إلىٰ احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن

أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة علىٰ الاتصال»

➢ عن أبي صالح وهو ذكوان السمان الزيات المدني.

٤٣ - جاء في «الكمال في أسماء الرجال» (٤/ ٤٣٧): «قال أحمد بن حنبل: ثقة، ثقة، من أجل الناس وأوثقهم، وقد شهد الدار زمن عثمان - رضي الله عنه -.

٤٤ - وقال يحيىٰ بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم: ثقة، وقيل: كان أبو هريرة إذا رأىٰ أبا صالح قال: ما علىٰ هذا ألا يكون من بني عبد مناف.وقال أبو حاتم: يحتج بحديثه»

➢ عن مالك الدار وهو مالك بن عياض المدني مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٤٥ - جاء في «الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي» (١/ ٣١٣): «مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ: تَابِعِيٌّ، قَدِيمٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، أَثْنَىٰ عَلَيْهِ التَّابِعُونَ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ»

٤٦ - وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: نا الأثرم عن أبي عبيدة قال مالك الدار مولىٰ عمر بن الخطاب ولاه عمو كلة عيال فلما قام عثمان ولي مالك الدار القسم فسمي مالك الدار

- قال وسمعت مصعب بن عبد الله يقول مالك الدار مولىٰ عمر بن الخطاب روىٰ عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد انتسبت ولده إلىٰ جبلان

٤٧ - وجاء في «الطبقات الكبرىٰ لابن سعد -ط دار صادر» (٥/ ١٢): «مَالِكٌ الدَّارُ مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقَدِ انْتَمَوْا إِلَىٰ جُبْلَانَ مِنْ حِمْيَرَ، وَرَوَىٰ مَالِكٌ الدَّارُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ. رَوَىٰ عَنْهُ أَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ، وَكَانَ مَعْرُوفًا»

قلت: رجال السند ثقات لكنه منكر معلول كما سيأتي بإذن الله.

ولأخي أبي عبد الله بن محمد الخالدي – وفقه الله – بيان لعلله كما في رسالته [هدم الدار علىٰ رؤوس المستدلين برواية مالك الدار] وقد ذكر وفقه الله كثيرا من العلل الحسنة.

مع العلم أن هذا الأثر عموم المشتغلين بعلم الحديث يعلونه ولا يصححونه فهذا مشهور في زماننا.

وسأذكر أهم العلل التي أراها تدل علىٰ نكارته وبطلانه ولعلها تكون إضافة لما أعل به الخبر وبالله التوفيق.

ولابد من التنبيه أن النكارة قد تجتمع مع ما ظاهر إسناده الصحة ووثوقية رجاله وهذا معلوم لمن مارس علم العلل والتطبيق علىٰ الأسانيد

أولا: من وجوه الحكم بالنكارة أن يرد الخبر علىٰ خلاف المعروف الصحيح في الباب.

٤٨ – روى **الخطيب في الكفاية:** أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ، أنا أَبُو مُسْلِمٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مِهْرَانَ، أنا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ النَّسَفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: «الْحَدِيثُ الشَّاذُّ الْحَدِيثُ الْمُنْكَرُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ».

وهذه طريقة عموم أئمة النقد أنهم يحكمون بالنكارة علىٰ ما جاء غريبا عن المعروف في الباب كالإمام أحمد وغيره فعنده [الحديث الذي ترجح خطأ راويه بتفرد من لا يحتمل تفرده أو المخالفة للثابت المعروف، فهذا التعريف يصدق علىٰ المنكر

بمعنىٰ خلاف المعروف، وبمعنىٰ الفرد الذي ليس له متابع وليس لراويه من الثقة ما يحتمل تفرده، وبمعنىٰ ما ليس له أصل، وبمعنىٰ الحديث الذي ترجح خطأ راويه]

٤٩ - انظر «منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث» (٢/ ٨٠٠)

وقد يقول قائل وأين وجه المخالفة في خبر مالك الدار للمروي في الباب؟

فالجواب: أن المعروف في الباب مما حصل عام الرمادة سنة ثمانية عشر من الهجرة أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يتوسل بالنبي ﷺ أي بالطلب منه أن يدعو وهو ميت.

بل طلب من العباس بن عبد المطلب ﷺ أن يدعو لهم فكان في عدول عمر بن الخطاب ﷺ عن التوسل بدعاء النبي ﷺ لدعاء العباس ﷺ قصد وموافقة وبيان أنه لا يتوسل بدعاء الميت ولو كان سيد الخلق ﷺ في عام شدة ومجاعة.

٥٠ - روى **البخاري في الصحيح**: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللهِ بْنُ المُثَنَّىٰ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

٥١ - روى **الطبراني في المعجم الكبير**: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ ﷺ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، وَخَرَجَ بِالْعَبَّاسِ مَعَهُ يَسْتَسْقِي فَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا** ﷺ، **تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا** ﷺ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ»

قلت: تأمل في قول عمر ﵁: [**اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا ﷺ، تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا** ﵇].

فالمحفوظ أن عمر ﵁ في عام الرمادة أشار أنه في حياة النبي ﷺ توسلوا به أي بالطلب منه أن يدعو لهم ثم قال [**وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ**].

أي بالطلب من العباس ﵁ وهو حي أن يدعو لهم.

فالخلاصة أن عمر بن الخطاب ﵁ لم يتوسل قط إلا بالحي أي بطلب الدعاء منه هذا المحفوظ الصحيح في الباب.

ثم جاءت رواية مالك الدار يظهر منها ما قد يظن إقرارا بالتوسل بالنبي ﷺ وهو ميت.

فما كان لعمر ﵁ لو كان الباب مشروعا أن يعدل عن التوسل بالفاضل إلىٰ المفضول.

وهو أي عمر ﵁ لا يعدل بالنبي ﷺ أحدا.

٥٢ - روى **أحمد في مسنده**: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالَةً فَآلَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا لَكَ، زَعَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَهُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ يَحْفَظُ دِينَهُ، وَإِنِّي إِنْ لَا أَسْتَخْلِفْ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ، وَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدِ اسْتَخْلَفَ. **قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْدِلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا**، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ.

فالشاهد أن المحفوظ في عدوله عن التوسل بالنبي ﷺ حال موته قصدا وبيانا لحقيقة الشرع أنه لا يتوسل بطلب الدعاء منه ﷺ وهو ميت.

وإنما يتوسل بالحي كما فعل عمر رضي الله عنه مع العباس رضي الله عنه فطلب منه الدعاء.

٥٣ - قال **عَبْدُ اللهِ بن أحمد في فضائل الصحابة:** قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ أَبِي، أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَسْقِي بِهِ فَقَالَ: «جِئْنَاكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، فَسُقُوا».

٥٤ - روى **ابن سعد في الطبقات**: قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَحَطُوا عَلَىٰ عَهْدِ عُمَرَ خَرَجَ بِالْعَبَّاسِ، فَاسْتَسْقَىٰ بِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ إِذَا قَحَطْنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا ﷺ فَاسْقِنَا.

- قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مُقْلَةٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ، فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي، فَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ، فَاسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ، فَقَالَ: هَذَا عَمُّ نَبِيِّكَ ﷺ، جِئْنَا نَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْكَ، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَمَا رَجَعُوا حَتَّىٰ سُقُوا

٥٥ - وجاء **في «أنساب الأشراف للبلاذري» (٤/ ٧):** «وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْفَرْوِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ عُمَرَ يَوْمَ غَدَا لِيَسْتَسْقِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ مُتَوَاضِعًا خَاشِعًا عَلَيْهِ بُرْدٌ لا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالاسْتِسْقَاءِ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ وَالدُّمُوعُ تَجْرِي عَلَىٰ خَدِّهِ وَلِحْيَتِهِ، وَإِنَّ الْعَبَّاسَ لَعَنْ يَمِينِهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَعِجُّ إِلَىٰ رَبِّهِ وَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ

إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وَالْعَبَّاسُ قَائِمٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ مُلِحٌّ فِي الدُّعَاءِ وَعَيْنَاهُ تهملانِ.

- حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْبُهْلُولِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ يَسْتَسْقِي فَأَخَذَ بِضَبْعَيِ الْعَبَّاسِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ هَذَا عَمُّ نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا، فَمَا بَرِحَ النَّاسُ حَتَّىٰ سُقُوا»

٥٦- وقال **ابن خزيمة في صحيحه:** بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِسْقَاءِ بِبَعْضِ قَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْبَلْدَةِ الَّتِي يَسْتَسقِي بِهَا بِبَعْضِ قَرَابَتِهِ ﷺ

- نا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا قَحِطُوا خَرَجَ يَسْتَسْقِي بِالْعَبَّاسِ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحِطْنَا اسْتَسْقَيْنَا بِنَبِيِّكَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَسْتَسْقِيكَ الْيَوْمَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ -أَوْ نَبِيِّنَا -فَاسْقِنَا، فَيُسْقَوْنَ» قَالَ الْأَنْصَارِيُّ: كَذَا وَجَدْتُ فِي كِتَابِي بِخَطِّي فَيُسْقَوْنَ

٥٧- وجاء **في «دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني» (ص٥٦٧):** «حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ الْحَسَنِ ثنا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَمِّهِ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ يَسْتَسْقِي وَخَرَجَ بِالْعَبَّاسِ مَعَهُ يَسْتَسْقِي بِهِ وَيَقُولُ: " اللَّهُمَّ كُنَّا إِذَا قَحِطْنَا عَلَىٰ عَهْدِ نَبِيِّنَا تَوَسَّلْنَا بِنَبِيِّنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا فَسُقُوا»

٥٨- وَفِي **«مُسْتَدْرك الْحَاكِم» أَيْضا من حَدِيث ثُمَامَة عَن أنس قَالَ:** (كَانُوا إِذا قحطوا عَلَىٰ عهد رَسُول الله - ﷺ -استسقوا برَسُول الله - ﷺ -، فَاسْتَسْقَىٰ لَهُم، فيُسقَون، **فلمَّا كَانَ بعد وَفَاة رَسُول الله - ﷺ -فِي إِمَارَة عمر قحطوا، فَخرج عمر**

بِالْعَبَّاسِ يَسْتَسْقِي بِهِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذا قحطنا عَلَىٰ عهد نبيك استسقينا بِهِ فسُقينا، وَإِنَّا نتوسل إِلَيْك الْيَوْم بعم نبيك فاسقنا. قَالَ: فسُقوا»

قلت: هذه الروايات كلها المحفوظة في الباب دلالتها بينة بأن عمر ﵁ توسل بدعاء العباس ﵁ لما خرج به وطلب الدعاء منه **وهو المعروف عند أهل التواريخ والمحققين فيه**.

٥٩ - جاء في «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٣٨): «سنة ثَمَان عشرَة عَام الرَّمَادَة بَكْرٌ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ فِيهَا عَام الرَّمَادَة أصَاب النَّاس مجاعَة شَدِيدَة **فَخرج عُمَر يَسْتَسْقِي وَمَعَهُ الْعَبَّاس فَقَالَ اللَّهُمَّ نستسقيك بعم نبيك**].

أما خبر مالك الدار فالرواية فيه مخالفة في سياقها للمحفوظ المعروف في الباب أنه توسل بدعاء العباس ﵁ وعدل قصدا عن التوسل بدعاء النبي ﷺ بعد مماته.

كما صرح عمر ﵁ أنهم يتوسلون بدعاء النبي ﷺ وهو حي فحسب بخلاف الموت.

فما ورد في رواية مالك الدار أن ظاهره الإقرار بتوسل الرجل بدعاء النبي ﷺ وهو ميت **منكر غريب مخالف للمعروف المشهور** في الروايات الصحيحة والمحفوظة عند المحدثين وأصحاب التواريخ الثقات.

ومن مسالك النقد الحديثي إعلال الغريب بالمشهور المحفوظ.

وهذا الوارد معنا من تطبيقاته.

لأن القصة تتعلق بشيء واحد وكلا المتنين الغريب والمحفوظ بينهما مناسبة

معنوية لتعلقهما بحادثة بعينها وموضوع بعينه وهو الاستسقاء عام الرمادة.

-فإن قال قائل لماذا لا نجمع بينهما فنقول: استسقىٰ عمر بالعباس رضي الله عنهما وأيضا هناك دلالة إقرار علىٰ استسقاء الرجل بالنبي ﷺ في قبره؟

كان الجواب: قول عمر رضي الله عنه المحفوظ يبين قصدا وبيانا أنه لا يتوسل بالنبي ﷺ إلا وهو حي لذلك عدل عن الفاضل للمفضول لعلة الموت وهذا ظاهر في كلام عمر رضي الله عنه كما تقدم والفعل من عمر رضي الله عنه هو مخالف تماما لدلالة الإقرار التي فهمها القبريون والجراجسة الجدد من رواية مالك الدار.

فالجمع حينئذ ممتنع لوجود المخالفة والمعارضة في محل واحد فالمحفوظ دل أن عمر رضي الله عنه قصد عدم التوسل بالنبي ﷺ وهو ميت لدعاء العباس.

وفي خبر مالك الدار الغريب الشاذ أنه أقر من توسل بطلب الدعاء من النبي ﷺ وهو ميت...فانتبه فإنه مهم.

ثانيا: أن من قواعد التعليل التطبيقية أن الباب الذي يعلم أنه لا يصح فيه شيء فما جاء موافقا لبابه حكم له بحكم الباب أنه لا يصح ولو كان ظاهره صحيح فلابد من تطلب العلة له ما دام متن الخبر موافقا لفظا ومعنىٰ لمتون الباب وتتعلق بشيء واحد.

قلت: وتفسير هذا الكلام تطبيقيا أن يقال باب الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد موته عام الرمادة كله باطل لا يصح هذا أصل الباب فمن ذلك

٦٠ - ما روى الطبري في تاريخه: كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عن مبشر بْن الفضيل، عن جبير بْن صخر، عن عاصم بْن عمر بْن الخطاب، قال: قحط

الناس زمان عمر عاما، فهزل المال، فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لصاحبهم: قد بلغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتىٰ ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحمر، فنادىٰ: يا محمداه! فأري فيما يرىٰ النائم ان رسول الله ص أتاه، فقال: أبشر بالحيا! ائت عمر فأقرئه مني السلام، وقل له: إن عهدي بك وأنت وفي العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر! فجاء حتىٰ أتىٰ باب عمر، فقال لغلامه: استاذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتىٰ عمر فأخبره، ففزع وقال رأيت به مسا! قال: لا، قال: فأدخله، فدخل فأخبره الخبر، فخرج فنادىٰ في الناس، وصعد المنبر، وقال: أنشدكم بالذي هداكم للإسلام، هل رأيتم مني شيئا تكرهونه! قالوا: اللهم لا، قالوا: ولم ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطن، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء، فاستسق بنا، فنادىٰ في الناس، فقام فخطب فأوجز، ثم صلىٰ ركعتين فأوجز، ثم قال:

اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاسقنا، وأحي العباد والبلاد!

وهذه الروايات كلها التي لا تصح.

٦١ - وروى **عبد الرزاق في المصنف**: عنْ مَعْمَرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَصَابَ النَّاسَ سَنَةٌ، وَكَانَ رَجُلٌ فِي بَادِيَةٍ، فَخَرَجَ فَصَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَسْقَىٰ ثُمَّ نَامَ، فَرَأَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ، وَقَالَ: «أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللهَ قَدِ اسْتَجَابَ لَكُمْ» وَكَانَ عُمَرُ قَدْ خَرَجَ فَاسْتَسْقَىٰ أَيْضًا، وَأْمُرْهُ فَلْيُوفِّ الْعَهْدَ، وَلْيَشُدَّ الْعَقْدَ قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ عُمَرَ، فَقَالَ:

اسْتَأْذِنُوا لِرَسُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَسَمِعَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْمُفْتَرِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَبَكَىٰ عُمَرُ.

وهذه الرواية باطلة لا تصح فيها إسماعيل أبي المقدام يضع الحديث

بل كل رواية فيها الاستشفاع بطلب الدعاء من النبي ﷺ بعد موته فهي باطلة لا يصح منها شيء.

٦٢ - جاء في «الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي» (ص٣٢٠): «ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلىٰ قبره ليستغفر له، ولا شكىٰ إليه ولا سأله والذي صح عنه من الصحابة مجيء القبر هو ابن عمر وحده، إنما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلىٰ صاحبيه عند قدومه من سفر، ولم يكن يزيد عل التسليم شيئاً البتة».

فباب الأخبار الواردة في الاستشفاع بالنبي ﷺ بعد موته بطلب الدعاء منه لا يصح منه شيء البتة بل كله بواطيل ومناكير هذا حكم هذا الباب.

ثم جاءت رواية مالك الدار تتوافق مع الباب الذي لا يصح منه شيء والأصل فيه النكارة فحكمها حكمه.

ولا نغتر بظاهر الإسناد خاصة مع وجود المخالفة للمحفوظ المعروف كما تقدم من عدول عمر رضي الله عنه قصدا عن التوسل بدعاء النبي ﷺ بعد موته لبيان الشرع.

٦٣ - جاء في «التمهيد -ابن عبد البر» (٢٣/ ٤٣٤ ط المغربية): [.....وَرُوِّينَا مِنْ وُجُوهٍ عَنْ عُمَرَ رحمه الله أَنَّهُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي وَخَرَجَ مَعَهُ بِالْعَبَّاسِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ

بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَنَسْتَشْفِعُ بِهِ فَاحْفَظْ فِيهِ نَبِيَّكَ كَمَا حَفِظْتَ الْغُلَامَيْنِ لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا وَأَتَيْنَاكَ مُسْتَغْفِرِينَ مُسْتَشْفِعِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا إِلَى قَوْلِهِ وَأَنْهَارًا ثُمَّ قَالَ الْعَبَّاسُ وَعَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ فَطَالَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي لَا تُهْمِلِ الضَّالَّةَ وَلَا تَدَعِ الْكَسِيرَ بِدَارٍ مُضَيَّعَةٍ فَقَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ وَرَقَّ الْكَبِيرُ وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى اللَّهُمَّ فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا فَإِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ...]

فاجتمعت في خبر مالك الدار علتان:

- **أنه متنه موافق للمنكرات من متون الباب والذي لا يثبت منه شيء.**
- **أنه مخالف للمحفوظ الصحيح في الباب حيث لم يتوسل عمر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته بل ترك ذلك مع قيام المقتضي وعدم المانع فكان بيانا منه أنه لا يشرع فانتبه.**

ثالثا: أن عمر رضي الله عنه لم يزد على الاستغفار عام استسقى في الرمادة:

٦٤ - **فقد روى عبد الرزاق**: عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ، فَمَا زَادَ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ فَقَالُوا: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ** قَالَ: " لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي تُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [سورة نوح:١٠-١٢].

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾ [سورة هود:٥٢].

وهذا من مراسيل الشعبي وهي لا بأس بها ويدل عليه ويقوي معناه ما روىٰ ابن أبي شيبة في المصنف حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عِيسَىٰ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَسْتَسْقِي، **فَمَا زَادَ عَلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ**»

وهذا الخبر كان عام الرمادة فهي أبرز الأوقات والحوادث التي استسقىٰ فيها عمر ﵁ ولذلك أورده البلاذري في عام الرمادة.

فهنا عمر ﵁ كان غالب استسقائه الإستغفار فلم يتوسل هو ولا أحد من الصحابة ﵁ بطلب الدعاء من النبي ﷺ بعد موته بل عدل عن ذلك بقصد بيان المنع كما تقدم عنه ﵁.

رابعا: وهي عمدة العلل وأصل النكارة والبطلان مناقضة هذه الرواية إذا استدل ا علىٰ الجواز أو إقرار الصحابة ﵃ لهذا الفعل **لأصل التوحيد في الاستشفاع بالموتىٰ في قبورهم بأن يطلب منهم الدعاء وسؤال الله تعالىٰ قضاء حاجة دينية أو دنيوية للمستشفع.**

واعلم – وفقك الله – أن الجراجسة الجدد يمارسون مغالطة مطوية يضعونها بين يدي البحث وهي التفريق بين طلب الدعاء وطلب الشفاعة فيعتبرون الأولىٰ بدعة والثاني شركا أكبر وهذا من جهلهم باللسان العربي وعرف السلف في الخطاب الشرعي

وقد بينت –بفضل الله– في الجواب الأول أنه لا فرق بين قول القائل [يا رسول الله ادع الله لي بالشفاء] أو [يا رسول الله اشفع لي أي أطلب وسل الله لي بالشفاء].

فالشفاعة الطلب والسؤال كما هو معلوم في لسان العرب وخطاب الشرع وفهم السلف.

فكلا المقالتين فيها اتخاذ الميت واسطة بين العبد وبين ربه ﷻ في جلب خير أو دفع شر وهذا حقيقة شرك المشركين في الجاهلية.

فالموتىٰ لا يجوز التوسط بهم والاستشفاع بهم حتىٰ لو كانوا يسمعون سمع أذن إذا شاء الله أن يسمعهم لكنهم لا يجيبون دعاء من دعاهم لعدم قدرتهم وعلمهم وحياتهم بالأسباب الظاهرة التي تحصل بها الإستجابة من الحي الحاضر القادر الذي يسمع.

فمناط الشرك في الشفاعة والاستشفاع وطلب الدعاء من الموتىٰ ليس يسمعك سمع أذن أو لا يسمعك.

وليس أنك تسأله ما لا يقدر عليه إلا الله من خصائص الربوبية فهذا شرك في الحي والميت لا خصوصية للميت فيه بل يشركه الحي ويستوي معه فيه.

ولكن مناط الشرك والكفر في شرك الشفاعة والدعاء هو اتخاذ الميت واسطة بينك وبين الله تسأله أن يسأل الله لك قياسا علىٰ سؤال الشخص رعية الملك ليسألوا ويطلبوا من الملك أن يقضي حاجته فهذا بعينه شرك المشركين الأولين لمن عرف حقيقة التوحيد.

٦٥ - روى **الدارمي في مسنده:** أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ، وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ»

والزعم بأن الذي يقول يا رسول الله ادع الله لي لا يلزم أن يكون توسطا هذا لا يقوله إلا رجل لا عقل له ولا تمييز

قف مع الجملة نفسها

[يا نداء وطلب

رسول الله منادىٰ وهو طالب لك

ادع فعل أمر للطلب

الله تعالىٰ مطلوب منه]

وبعد ذلك تقول [لي] فأنت تطلب من رسول الله طلب أن يطلب الله لك وهذا التوسط الشركي بعينه

فهنا أقمت رسول الله ﷺ واسطة لك بينك وبين الله تعالىٰ في تحصيل المطلوب وهذا هو الشرك في الشفاعة **وهذا ما أبسطه في نشرة قادمة بإذن الله إذا أتيت لنقض الشبهات النظرية والله المستعان.**

فدلالة القرآن المحكمة أن من شرك المشركين أنهم يدعون الموتىٰ كما قدمت في الجواب الأول، فمنه:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [سورة النحل: ٢٠-٢٢].

٦٦ - قال **الطبري في تفسيره:** حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله **أموات لا أرواح فيها**، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا.

فهنا سؤال لهؤلاء المخففين من الشرك أقول لهم لما يدعو المشرك الموتىٰ ما

حجته وتبريره؟

الجواب حجته وتبريره ليشفعوا لنا عند الله

٦٧ - روى **عبد الرزاق في تفسيره**: أنا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣] قَالَ: «**إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللهِ**»

فانتبه – وفقك الله – المشرك يدعو اللات والعزىٰ وغيرها من الطواغيت ليشفعوا له أي ليسألوا له ويطلبوا له عند الله صلاح معايشه في الدنيا فحكم عليهم ربنا تعالىٰ بالشرك والكفر.

فخلاصة القول أن من اتخذ الموتىٰ وسائط بينه وبين الله تعالىٰ يسألهم ليسألوا الله له ويطلب منهم الاستشفاع والدعاء له من الله لقضاء حاجته فهو كافر مشرك فهذا الأمر محكم لا اشتباه فيه.

فيقال لما يأت خبر ما كخبر مالك الدار جنس بابه الأصل فيه المناكير وهو أيضا مخالف للمحفوظ المعروف في الباب ثم يظهر منه جواز التوسط بالنبي ﷺ بعد م في حصول المطر فهذا لا شك في بطلانه ونكارته لمعارضته الأصول المحكمة

لأن أهل الجاهلية في شركهم ما كانوا يسألون طواغيتهم المطر لعلمهم أن عاجزة بنفسها علىٰ إنزال المطر

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٣].

وإنما كانوا يسألون بها أي كواسطة أن تسأل الله لهم أن يمطرهم وهو ما كان أهل

الشرك يحتجون به أن هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو يشفعوا لنا عند الله في صلاح معايشهم بالمطر ونحوه.

٦٨ - جاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٢/ ٢٤٨): « ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨]. أَيْ: أَنَّ الأَوْثَانَ تَشْفَعُ لَهُمْ -زَعَمُوا -عِنْدَ اللهِ؛ لِيُصْلِحَ لَهُمْ مَعَايشهمْ فِي الدُّنْيَا».

فهذا الخبر منكر باطل لمخالفته الأصول المحكمة في أن التوسط بالموتىٰ والاستشفاع بهم عند الله في قضاء الحاجات شرك.

- **وهنا يورد المعارض إيرادات غريبة منها:**
- **لو كان هذا الخبر منكرا لماذا رواه ابن أبي شيبة في مصنفه؟**

والجواب: وهل الحافظ ابن أبي شيبة اشترط رواية الصحيح المعروف في كل أبواب المصنف؟

اعلم -وفقك الله – أن من سبر الكتاب علم أنه لا يشترط ذلك في المرفوع فما بالك بما دونه لذلك لا حجة في هذا الإيراد بهكذا إطلاق

مع أن عموم مروياته جيدة وحسنة ونقية لكن لا ينفي وجود الروايات المستنكرة أحيانا في المرفوع وما دونه بل هو يوردها أحيانا ﷫ بين الباب والذي بعده للبيان وأحيانا في الباب الواحد.

ولكل هذه أمثلة لو اضطرني المعارضون أن أمثل لأتيت عليها بفضل الله تعالىٰ

- **والأمر الآخر**: أن الحافظ ابن أبي شيبة ﷫ لم يورد هذا الخبر في أبواب الإستسقاء من أحاديث الأحكام بل أورده في الفضائل الذي يروون فيه كل شيء صح

أو لم يصح فيتوسعون فيها ما لا يتوسعون في الأحكام.

لأن الأحكام الأصل أن ما يروىٰ فيها هو للإحتجاج والاستدلال.

لكن باب الفضائل ليس الأصل أن كل يروىٰ فيه للإحتجاج والاستدلال علىٰ المسائل.

بل حين ذكر الحافظ ابن أبي شيبة ما يدعىٰ به في الاستسقاء لم يذكر التوسل بدعاء النبي ﷺ في قبره:

٦٩ - كما جاء في «المصنف» (٦/ ٦١): «مَا يُدْعَىٰ بِهِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ»

- **حَدَّثَنَا** وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ عُمَرَ، خَرَجَ يَسْتَسْقِي، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا»، ثُمَّ نَزَلَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اسْتَسْقَيْتَ، فَقَالَ: «لَقَدْ طَلَبْتُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْقَطْرُ»

- **حَدَّثَنَا** وَكِيعٌ، عَنْ عِيسَىٰ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَسْتَسْقِي، فَمَا زَادَ عَلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ»

فذكر قصة استسقاء عمر رضي الله عنه المحفوظة في الباب ولم يعرض قط لرواية مالك الدار.

والأمر الثالث: مادام الخبر صحيح لا غبار عليه فلماذا تعتبر الأثرية المحرفة الفعل الوارد فيه بدعة مجردة.

وهل يورد ابن أبي شيبة أخبارا فيها البدعة علىٰ زعمكم....؟

تناقض ما بعده تناقض....فسبحان من قسم العقول سبحانه....

- **قالوا لوكان الخبر منكرا باطلا لدلالة فعل الشرك فيه يلزمكم أن كل من رواه فهو مشرك...**

قلت: **والعياذ بالله من هكذا إلزام.**

ألا تعلم يا من تلزم هذا الإلزام أن رواية الأخبار لها اعتبارات غير الاحتجاج بها

٧٠ - روى **الخطيب في الكفاية**: أنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَرْذَعِيُّ، نا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ، أنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ الْغَافِقِيُّ، بِمِصْرَ نا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، نا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، نا وَكِيعٌ، قَالَ: قَالَ الثَّوْرِيُّ: " إِنِّي لَأَكْتُبُ الْحَدِيثَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: فَمِنْهُ مَا أَتَدَيَّنُ بِهِ، **وَمِنْهُ مَا أَعْتَبِرُ بِهِ وَمِنْهُ مَا أَكْتُبُهُ لَأَعْرِفَهُ** "

فمن الحديث ما يروىٰ ليتدين به وهو المحتج به ومنه ما يروىٰ ليعتبر به ومنه ما يروىٰ ليعرف.

٧١ - وقال **أيضا**: أنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَطَّانُ، قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُسْتَمْلِي، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَارِسٍ، قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَ: " رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي مَجْلِسِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ وَمَعَهُ كِتَابُ زُهَيْرٍ عَنْ جَابِرٍ، وَهُوَ يَكْتُبُهُ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنْتَ تَنْهانَا عَنْ جَابِرٍ وَتَكْتُبُهُ، قَالَ: نَعْرِفُهُ "

والسؤال للجراجسة الجدد هل روىٰ الحافظ ابن أبي شيبة هذا الخبر ليحتج به أو ليعتبر به أو ليعرف ويميز؟

فلو قلت ليحتج به...

فالجواب لم يذكره في أبواب الأحكام المتعلقة بالاستسقاء من المصنف **والتي الأصل فيها الاحتجاج** بل أورد المحفوظ المعمول به.

وبعد ذلك يقال لكم.

وهذا أهم سؤال من الذي أفتىٰ بهذا الفعل الوارد في خبر مالك الدار بعد زمن الصحابة من فقهاء الأمصار وأهل الحديث؟

فلا يعلم عالم عليه مدار الفتوىٰ والحديث أفتىٰ بظاهر هذا الخبر فهو خبر ليس عليه العمل ولا نظير له في فتاوىٰ أئمة السنة وشيوخ الإسلام.

كما شهد به ابن تيمية فقال عن هذا الخبر بعينه [ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا في الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية، والدعاء مخ العبادة].

٧٢ – **وقال في «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» (ص٧١):** «ولا يُعرف عن أحدٍ من الصحابة أنه طلب من النبي ﷺ بعد موته حاجة، لا زوال الجدب، ولا النصر علىٰ العدو، ولا غفران الذنوب، لا يطلبه منه، ولا يشكيه إليه، ولا يقول: ادع الله لنا، بل قد ثبت في الصحيح: أنهم عام الرمادة لما أجدبوا استسقىٰ عمر بالعباس وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا. فيسقون...

وهذا الرجل الذي قال له: ادع لأمتك، مجهول، ما هو من المهاجرين، والأنصار، الذين يقتدىٰ بهم، ويكفيك أنه لم يأت أحد منهم إلىٰ قبره يطلب منه الدعاء إلا رجل مجهول، لا يُعرف، فأما المهاجرون والأنصار الذين هم أعلم الناس بدينه، وأتبعهم

له، فلم يأت أحد إليه، ولم يطلب منه الدعاء...]

فابن تيمية يشهد بأنه لم يعمل به أحد من المهاجرين والأنصار فهذا الخبر لو كان ظاهر إسناده الصحة لكان شاذ العمل لأن من علامة الخبر الشاذ ترك العمل به ولو كان صحيح الاسناد ظاهرا.

٧٣ - **قال ابن رجب في «بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف»:** «فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولا به عند الصحابة: ومن بعدهم: أو عند طائفة منهم **فأما ما اتفق علىٰ تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا علىٰ علم أنه لا يعمل به.**

٧٤ - **قال عمر بن عبد العزيز:** خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم»

ولو قلت ليعتبر به علىٰ جهة التقوية.

قلت لك: هو خبر فرد في الباب لا متابع له بل مخالف للمحفوظ وافق بابا من الرواية لا يصح منه شيء كما تقدم.

-ولو قلت ليعرف...

قلت: هذا الجواب الذي لا محيد عنه فهي رواية مجردة لتعرف فحسب وليس ليحتج بها كما يفعل القبورية.

وأنت أيضا تشوش بها علىٰ الموحدين مع أنك أول المخالفين لها حيث تزعم أن الفعل الوارد فيها بدعة.

٧٥ - **وقد روىٰ عبد الله في العلل** قال حَدَّثَنِي أَبُو معمر قَالَ حَدَّثَنَا عبد الله بن نمير

قَالَ سَمِعت الْأَعْمَش **يَقُول حدثت بِأَحَادِيث على التَّعَجُّب** فبلغني أَن قوما اتَّخذُوهَا دينا لَا عُدت لشَيْء مِنْهَا.

والخلاصة أن خبر مالك الدار معلول بعلل ثلاث من حيث متنه:

أولها: أنه مخالف للمحفوظ الصحيح في الباب من ترك عمر ﷺ قصد وبيانا التوسل بدعاء برسول الله ﷺ بعد موته وتوسل بدعاء العباس ﷺ

ثانيا: أن يوافق في متنه باب المرويات التي فيها الاستشفاع بالنبي ﷺ بعد م وهو باب الأصل فيه عدم الصحة وقد جاء خبر مالك الدار موافقا لها فحكمه حكمها

ثالثا: أنه شاذ العمل خطأ لم يفت عالم قط بدلالته ولم يحتج به فقيه في باب الاستسقاء

بل ذكر الفقهاء المتقدمون والمتأخرون في باب الاستسقاء أنه يطلب من رجل صالح حي أن يدعو لهم ولم يذكروا قط التوسل بدعاء النبي ﷺ بعد موته ولا غيره من المرسلين والصالحين

فهو خبر لو صح لم يعمل به أحد ولا يفت بدلالته عالم معتبر وهذا شذوذ وعلة تجعله منكرا لا حجة فيه

٧٦ – **جاء في «المغني» لابن قدامة (٣/ ٣٤٦ ت التركي):** «فصل: ويُسْتَحَبُّ أن يُسْتَسْقَىٰ بمَن ظَهَرَ صَلاحُه؛ لأنَّه أَقْرَبُ إلىٰ إجابَةِ الدُّعاءِ، فإنَّ عمرَ، رضِىَ اللهُ عنه، اسْتَسْقَىٰ بالعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ - ﷺ-. قال ابنُ عمرَ: اسْتَسْقَىٰ عمرُ عَامَ الرَّمَادَةِ بالعَبَّاسِ، فقال: اللَّهُمَّ إنَّ هذا عَمُّ نَبِيِّكَ - ﷺ-، نَتَوَجَّهُ إليكَ به فاسْقِنَا. فما بَرِحُوا

حتىٰ سَقَاهُم اللهُ ﷻ .

- وَرُوِىَ أنَّ مُعاوِيَةَ خَرَجَ يَسْتَسْقِىٰ، فلمَّا جَلَسَ علىٰ المِنْبَرِ، قال: أيْنَ يَزِيدُ بن الأسْوَد الجُرَشِيُّ؟ فقَامَ يَزِيدُ، فدَعَاهُ مُعاوِيَةُ (١٨)، فأجْلَسَهُ عند رِجْلَيْه، ثم قال: اللَّهُمَّ إنا نَسْتَشْفِعُ إليكَ بِخَيْرِنَا وأفْضَلِنَا يَزِيدَ بن الأسْوَد، يا يَزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ. فَرَفعَ يَدَيْهِ، ودَعَا»اللهَ تعالىٰ، فثَارَتْ في الغَرْبِ سَحَابَةٌ مثل التُّرْسِ، وَهَبَّ لها رِيحٌ، فَسُقُوا حتىٰ كَادُوا لا يبْلُغُونَ مَنَازِلَهم.واسْتَسْقَىٰ به الضَّحَّاكُ مَرَّة أُخرىٰ...انتهىٰ

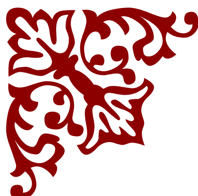


جَوابُ حَولَ

سَمَاعِ المَوتَى



جواب حول سماع الموتى



فمن الحجج التي يقيم بها القبريون شركهم **[مسألة سماع الموتىٰ لكلام الأحياء]** حيث يجعلونها من أصول أدلتهم في اتخاذ الموتىٰ وسائط بينهم وبين الله تعالىٰ يسألونهم ليسألوا الله تعالىٰ لهم.

وبالمقابل أزواج القبريين من أدعياء السلفية والأثرية المحرفة يتخذون هذه المسألة للتخفيف والتهوين من شأن الشرك في الوساطة الذي كفر الله سبحانه ورسوله ﷺ به أهل الجاهلية وكان ميتهم عليه خالدا في النار أبدا

جعله هؤلاء الخلوف الزيوف أهل التحريف بأقيسة منهم معكوسة وأفهام مرتكسة في الإرجاء الغالي منكوسة بدعة وذريعة للشرك فحسب...

ودائما يتكرر معنا نفس الإشكال المنهجي والخلل الإستدلالي

كيف ترون أن هذا الفعل بدعة ووسيلة للشرك ثم أنتم توردون أدلة المشروعية علىٰ جواز الفعل؟

أليس منكم رجل رشيد؟

وبداية سأذكر تأصيلا مهما فيما يتعلق بسماع الموتىٰ لكلام الأحياء خاصة ثم آتي علىٰ ما يستدل به هؤلاء من تخليط في الدلائل وعدم تحقيق للمسائل وفق منهجية الإستدلال عند أصحاب الحديث.

فأقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول وقوة إلا بالله العلي العظيم.

قد وردت أخبار ودلائل تثبت سماع الموتىٰ لكلام الأحياء إذا شاء الله أن يسمعهم ومنها:

٧٧ - روى **أحمد في مسنده:** حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: وَحَدَّثَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَمَرَ بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَىٰ قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، قَالَ: فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ أَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَشُدَّتْ بِرَحْلِهَا، ثُمَّ مَشَىٰ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: فَمَا نَرَاهُ يَنْطَلِقُ إِلَّا لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ، قَالَ: حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ شَفَةِ الطَّوِيِّ، قَالَ: فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: **" يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَسَرَّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ " قَالَ عُمَرُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا، قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ "، قَالَ قَتَادَةُ: " أَحْيَاهُمُ اللهُ ﷻ لَهُ حَتَّىٰ سَمِعُوا قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً.**

- حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ وَهُوَ يُنَادِي -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ -: " يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ". قَالُوا: كَيْفَ تُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا -أَوْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا؟ قَالَ: **"مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ.**

- **حَدَّثَنَا** عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَاتَلَ قَوْمًا فَهَزَمَهُمْ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثًا، وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَمَرَ بِصَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَأُلْقُوا فِي قَلِيبٍ مِنْ قُلُبِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُنْتِنٍ، قَالَ: ثُمَّ رَاحَ إِلَيْهِمْ، وَرُحْنَا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: **" يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَيَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا وَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا "**، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: **يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا، قَالَ: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ.**

قَالَ قَتَادَةُ: بَعَثَهُمُ اللهُ ﷻ لِيَسْمَعُوا كَلَامَهُ تَوْبِيخًا وَصَغَارًا وَتَقْمِئَةً، قَالَ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ: لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثًا.

٧٨ - **وروى مسلم في الصحيح**: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ الْهُذَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: كُنْتُ مَعَ عُمَرَ، ح وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ -وَاللَّفْظُ لَهُ- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ، أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ**

وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا».

- حَدَّثَنَا هُدْبَةُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَىٰ بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟»** فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ سَمِعُوا؟ وَأَنَّىٰ يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لَمَّا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»**. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا إِلَىٰ قَلِيبِ بَدْرٍ.

٧٩ - روى **البخاري في الصحيح:** حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ، قَالَ: **اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ»**

٨٠ - روى **أحمد في مسنده:** حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **" إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ**، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ -يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ -قَالَ: أَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا.

ومما ورد من الموقوف في الباب:

٨١ - **وروىٰ الطبري بإسناد فيه ضعف فقال:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ خِلَاسِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ أَقْرِبَائِكُمْ مِنْ مَوْتَاكُمْ، فَإِنْ رَأَوْا خَيْرًا فَرِحُوا بِهِ، وَإِنْ رَأَوْا شَرًّا كَرِهُوهُ، وَإِنَّهُمْ يَسْتَخْبِرُونَ الْمَيِّتَ إِذَا أَتَاهُمْ، مَنْ مَاتَ بَعْدَهُمْ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَسْأَلُ عَنِ امْرَأَتِهِ أَتزَوَّجَتْ أَمْ لَا؟ وَحَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ، فَإِذَا قِيلَ: قَدْ مَاتَ قَالَ: هَيْهَاتَ، ذَهَبَ ذَاكَ، فَإِنْ لَمْ يُحِسُّوهُ عِنْدَهُمْ، قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذُهِبَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَبِئْسَ الْمُرَبِّيَةُ "

٨٢ - **وروى أيضا بسند جيد قال:** حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَطَّافُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي خَالَةٌ لِي يُقَالُ لَهَا تُهْلَلُ بِنْتُ الْعَطَّافِ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَوَابِدِ، وَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تَرْكَبُ إِلَىٰ الشُّهَدَاءِ، قَالَتْ: " رَكِبْتُ إِلَيْهِمْ يَوْمًا فَصَلَّيْتُ عِنْدَ قَبْرِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أُصَلِّيَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغْتُ فَقُمْتُ، **فَقُلْتُ هَكَذَا بِيَدِي، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ: فَسَمِعَتْ أُذُنَايَ السَّلَامَ يَخْرُجُ إِلَيَّ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ، أَعْرِفُهُ كَمَا أَعْرِفُ أَنَّ اللهَ خَلَقَنِي، وَكَمَا أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، وَمَا فِي الْوَادِي دَاعٍ، وَلَا مُجِيبَ يَتَحَرَّكُ إِلَّا غُلَامِي نَائِمًا أَخَذَ بِرَأْسِ دَابَّتِي، فَاقْشَعَرَّتْ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنِّي**، فَدَعَوْتُ الْغُلَامَ: يَا بُنَيَّ هَلُمَّ دَابَّتِي، فَأَدْنَىٰ دَابَّتِي فَرَكِبْتُ.

- حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الْمَخْزُومِيِّ، قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَظُنُّهُ الْمُطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَادًا لَمَّا أَهْلَكَهَا اللهُ بِمَا أَهْلَكَهَا قَامَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ، فَقَالَ: عَادٌ، «هَلْ وَجَدْتُمْ

مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا، هَلْ زُلْزِلَتْ أَقْدَامُكُمْ؟ وَرَجَفَتْ قُلُوبُكُمْ؟ وَشُقَّتِ الْأَحْقَافُ عَلَيْكُمْ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَقَالَتِي».

- حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، أَنْبَأَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ قَرِينٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ سَعْدًا كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ ضَيْعَتِهِ مَرَّ بِقُبُورِ الشُّهَدَاءِ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا تُسَلِّمُونَ عَلَىٰ الشُّهَدَاءِ فَيَرُدُّوا عَلَيْكُمْ».

٨٣- وجاء في كتاب «الروح -لابن القيم» (ص٥): «قَالَ أَبُو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد بن أَبِىٰ الدُّنْيَا فِي كتاب الْقُبُور بَاب معرفَة الْمَوْتَىٰ بزيارة الْأَحْيَاء»

- حَدثنَا مُحَمَّد بن الْحُسَيْن حَدَّثَني يحيىٰ بن بسطَام الْأَصْغَر حَدَّثَني مسمع حَدَّثَني رجل من آل عَاصِم الجحدري قَالَ رَأَيْت عَاصِمًا الجحدري فِي منامي بعد مَوته بِسنتَيْنِ فَقلت أَلَيْسَ قدمت قَالَ بلَىٰ قلت فَأَيْنَ أَنْت قَالَ أَنا وَالله فِي رَوْضَة من رياض الْجنَّة أَنا وَنَفر من أَصْحَابِي نَجْتَمِع كل لَيْلَة جُمُعَة وصبيحتها إِلَىٰ بكر بن عبد الله الْمزنِي فنتلقىٰ أخباركم.

قَالَ قلت أجسادكم أم أرواحكم قَالَ هَيْهَات بليت الاجسام وَإِنَّمَا تتلاقىٰ الارواح قَالَ قلت فَهَل تعلمُونَ بزيارتنا إيَّاكُمْ قَالَ نعم نعلم بهَا عَشِيَّة الْجُمُعَة كُله وَيَوْم السبت إِلَىٰ طُلُوع الشَّمْس قَالَ قلت فَكيف ذَلِك دون الْأَيَّام كلهَا قَالَ لفضل يَوْم الْجُمُعَة وعظمته.

- وَحدثنَا مُحَمَّد بن الْحُسَيْن حَدَّثَنِىٰ بكر بن مُحَمَّد حَدثنَا حسن القصاب قَالَ كنت أغدو مَعَ مُحَمَّد بن وَاسع فِي كل غَدَاة سبت حَتَّىٰ نأتىٰ الجبان فنقف علىٰ الْقُبُور فنسلم عَلَيْهِم وندعو لَهُم ثمَّ ننصرف فَقلت ذَات يَوْم لَو صيرت هَذَا الْيَوْم يَوْم الِاثْنَيْنِ

قَالَ بلغني أَن الْمَوْتَىٰ يعلمُونَ بزوارهم يَوْم الْجُمُعَة وَيَوْما قبلهَا وَيَوْما بعْدهَا.

- **حَدثنِي** مُحَمَّد حَدثنَا عبد الْعَزِيز بن أبان قَالَ حَدثنَا سُفْيَان الثوري قَالَ بلغني عَن الضَّحَّاك أَنه قَالَ من زار قبرا يَوْم السبت قبل طُلُوع الشَّمْس علم الْمَيِّت بزيارته فَقيل لَهُ وَكَيف ذَلِك قَالَ لمَكَان يَوْم الْجُمُعَة.

- **حَدثنَا** خَالِد بن خِدَاش حَدثنَا جَعْفَر بن سُلَيْمَان عَن أَبىٰ التياح قَالَ كَانَ مطرف يَغْدُو فَإِذا كَانَ يَوْم الْجُمُعَة أدْلج قَالَ وَسمعت أَبَا التياح يَقُول بلغنَا انه كَانَ ينور لَهُ فِي سَوْطه فَأقبل لَيْلَة حَتَّىٰ إِذا كَانَ عِنْد مَقَابِر الْقَوْم وَهُوَ علىٰ فرسه فَرَأىٰ أهل الْقُبُور كل صَاحب قبر جَالِسا علىٰ قَبره فَقَالُوا هَذَا مطرف يأتىٰ الْجُمُعَة قلت وتعلمون عنْدكُمْ يَوْم الْجُمُعَة قَالُوا نعم ونعلم مَا يَقُول فِيهِ الطير قلت وَمَا يَقُولُونَ قَالُوا يَقُولُونَ سَلام سَلام.

- **حَدثنِي** مُحَمَّد بن الْحُسَيْن حَدَّثَنِي يحيىٰ بن أَبىٰ بكير حَدَّثَنِي الْفضل بن موفق ابْن خَال سُفْيَان بن عُيَيْنَة قَالَ لما مَاتَ أَبىٰ جزعت عَلَيْهِ جزعا شَدِيدا فَكنت آتىٰ قَبره فِي كل يَوْم ثمَّ قصرت عَن ذَلِك مَا شَاءَ الله ثمَّ انىٰ اتيته يَوْمًا فَبينا أَنا جَالس عِنْد الْقَبْر غلبتني عيناي فنمت فَرَأَيْت كَأَن قبر ابىٰ قد انفرج وَكَأَنَّهُ قَاعد فِي قَبره متوحشا أَكْفَانه عَلَيْهِ سحنة الْمَوْتَىٰ قَالَ فَكَأَنِّي بَكَيْت لما رَأَيْته قَالَ يَا بنىٰ مَا أَبْطَأَ بك عني قلت وَإِنَّك لتعلم بمجيئي قَالَ مَا جِئْت مرّة إِلَّا علمتها وَقد كنت تأتيني فآنس بك وَأسر بك وَيسر من حولي بدعائك قَالَ فَكنت آتِيَة بعد ذَلِك كثيرا.

- **حَدثنِي** مُحَمَّد حَدثنِي يحيىٰ بن بسطَام حَدَّثَنِي عُثْمَان بن سَوْدَة الطفاوي قَالَ وَكَانَت أمه من العابدات وَكَانَ يُقَال لَهَا راهبة قَالَ لما احتضرت رفعت رَأسهَا إِلَىٰ

السَّمَاء فَقَالَت يَا ذخري.

وذخيرتي وَمن عَلَيْهِ اعتمادي فِي حياتي وَبعد موتىٰ لَا تخذلني عِنْد الْمَوْت وَلَا توحشني فِي قبري قَالَ فَمَاتَتْ فكنت آتيها فِي كل جُمُعَة فأدعو لَهَا وَأَسْتَغْفِر لَهَا وَلأَهل الْقُبُور فرأيتها ذَات يَوْم فِي منامي فَقلت لَهَا يَا أمه كَيفَ أَنْت قَالَت أي بنىٰ ان للْمَوْت لكربة شَدِيدَة وإني بِحَمْد الله لفي برزخ مَحْمُود نفترش فِيهِ الريحان ونتوسد فِيهِ السندس والاستبرق إِلَىٰ يَوْم النشور فَقلت لَهَا أَلَك حَاجَة قَالَت نعم قلت وَمَا هي قَالَت لَا تدع مَا كنت تصنع من زيارتنا وَالدُّعَاء لنا فإني لأبشر بمجيئك يَوْم الْجُمُعَة إِذا أَقبلت من أهلك يُقَال لي يَا راهبة هَذَا ابْنك قد أقبل فَأسر وَيسر بذلك من حولي من الْأَمْوَات.

- **حَدثَّني** مُحَمَّد بن عبد الْعَزِيز بن سُلَيْمَان حَدثنَا بشر بن مَنْصُور قَالَ لما كَانَ زمن الطَّاعُون كَانَ رجل يخْتَلف إِلَىٰ الجبان فَيشْهد الصَّلَاة علىٰ الْجَنَائِز فَإِذا أَمْسَىٰ وقف علىٰ بَاب الْمَقَابِر فَقَالَ آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وَتجَاوز عَن مسيئكم وَقبل حسناتكم لَا يزِيد علىٰ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَات قَالَ فأمسيت ذَات لَيْلَة وانصرفت إِلَىٰ أهلي وَلم آتٍ الْمَقَابِر فأدعو كَمَا كنت أَدْعُو قَالَ فَبينا أَنا نَائِم إِذا بِخلق كثير قد جاءوني فَقلت مَا أَنْتُم وَمَا حَاجَتكُمْ قَالُوا نَحن أهل الْمَقَابِر قلت مَا حَاجَتكُمْ قَالُوا إِنَّك عودتنا مِنْك هَدِيَّة عِنْد انصرافك إِلَىٰ أهلك فَقلت وَمَا هىٰ قَالُوا الدَّعْوَات الَّتِي كنت تَدْعُو بهَا قَالَ قلت فإني أَعُود لذَلِك قَالَ فَمَا تركتهَا بعد.

- **حَدثَّني** مُحَمَّد حَدثَني أَحْمد بن سهل حَدثَني رشد بن سعد عَن رجل عَن يزِيد بن أَبىٰ حبيب ان سليم بن عُمَيْر مر علىٰ مَقْبرَة وَهُوَ حاقن قد غَلبه الْبَوْل فَقَالَ لَهُ بعض أَصْحَابه لَو نزلت إِلَىٰ هَذِه الْمَقَابِر فبلت فِي بعض حفرهَا فَبكىٰ ثمَّ قَالَ سُبْحَانَ

الله وَالله إني لأَسْتَحي من الْأَمْوَات كَمَا استحي من الْأَحْيَاء] انتهىٰ.

قلت: وإلىٰ هذا القول أعني **سماع الموتىٰ لكلام الأحياء** ذهب كثير من السلف عددا وكثرة واستندوا لهذه الأخبار والحوادث.

٨٤ - **قال الطبري في «تهذيب الآثار مسند عمر» (٢/ ٤٩١):** [اخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ فِي مَعَانِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ **جَمَاعَةٌ يَكْثُرُ عَدَدُهَا بِتَصْحِيحِهَا، وَتَصْحِيحِ الْقَوْلِ بِظَاهِرِهَا وَعُمُومِهَا، وَقَالُوا: الْمَيِّتُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَسْمَعُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ الْقَلِيبِ بَعْدَمَا أُلْقُوا فِيهِ مَا قَالَ،**

قَالُوا: وَفِي قَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ، إِذْ قَالُوا: أَتُكَلِّمُ أَقْوَامًا قَدْ مَاتُوا وَصَارُوا أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» أَوْضَحُ الْبَيَانِ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ، مِنْ أَنَّ الْمَوْتَىٰ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ، وَاعْتَلُّوا فِي ذَلِكَ بِأَخْبَارٍ رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَحْوِ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِّينَا عَنْ عُمَرَ...]

ثم قال [وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ أَخْبَارٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ صِحَاحٌ، وَلَكِنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، مَا أَنْتُمْ بِأَعْلَمَ بِمَا أَقُولُ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْهُمْ»، وَرَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَعْلَمَ بِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: وقفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَلِيبِ بِبَدْرٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: غَفَرَ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ وَهِلَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [سورة النمل: ٨٠] ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾**﴾ [سورة فاطر: ٢٢].

- حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ وَهِلَ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ، يَا فُلَانُ، وَاللهِ إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ الْآنَ أَنَّ الَّذِيَ كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»] انتهىٰ

قلت: وقد روىٰ البخاري في الصحيح قال:

- حَدَّثنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ الآنَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ» وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]

٨٥ - **وروى أحمد في مسنده:** حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْقَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: " يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ أَمَا وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَسْمَعُونَ كَلَامِي "، **قَالَ يَحْيَىٰ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: غَفَرَ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ وَهِلَ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَاللهِ إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ الْآنَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقًّا "، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾** [سورة النمل:٨٠] و **﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾** [سورة فاطر:٢٢] "

قلت: فالذي يظهر أن عائشة رضي الله عنها تذهب أن الموتىٰ لا يسمعون كلام الأحياء وأن المراد بقول رسول الله ﷺ [ما أنتم بأسمع لما أقول منهم] المراد به العلم وليس سمع

الأذن ولكنهم علموا أن الذي قاله لهم رسول الله ﷺ حق هذا تأويلها رضي الله عنها

٨٦ - فقد روى أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقَتْلَىٰ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ، فَطُرِحُوا فِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلَأَهَا، فَذَهَبُوا لِيُحَرِّكُوهُ، فَتَزَايَلَ، فَأَقَرُّوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غَيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ، فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلِيبِ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:" يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا " قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَىٰ؟: **فَقَالَ لَهُمْ: " لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدْتُهُمْ حَقٌّ " قَالَتْ عَائِشَةُ: وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: " لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ " وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَقَدْ عَلِمُوا.**

أما الأكثر من الجماعة فقالوا بأن الله يسمعهم إذا شاء متىٰ شاء بقدرته جل جلاله وناقشوا ما قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

٨٧ - قال الطبري بعد ذكره قول من يقول أن الميت لا يسمع كلام الأحياء كما في «تهذيب الآثار مسند عمر» (٢/ ٥١٨): [يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ مَا قُلْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ عليه السلام: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ مِنْ أَنَّهُ مُرَادٌ بِهِ: مَا أَنْتُمْ بِأَعْلَمَ، لَا أَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ أَصْوَاتَ بَنِي آدَمَ وَكَلَامَهُمْ، قَالُوا: وَلَوْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَ النَّاسِ وَهُمْ مَوْتَىٰ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ، ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، وَلَا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر:٢٢] مَعْنًى قَالُوا: وَفِي فَسَادِ الْقَوْلِ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا مَعْنَىٰ لَهُ، صِحَّةُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَمْوَاتَ بَعْدَ

مَمَاتِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ شَيْئًا.] انتهى

قلت: رجح الطبري بعد ذلك ما ذهب إليه الأكثر بوجوه من الترجيح حسنة تأملها مرة بعد مرة حتى يظهر لك **محل الاتفاق بين النافي لسماع الموتى كلام الأحياء والمثبت لذلك ومحل النزاع بينهما.**

فقال [...وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ صَحِيحَةٌ، عُدُولٌ نَقَلَتُهَا، فَالْوَاجِبُ عَلَى مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ خَبَرِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ الْإِيمَانُ بِهَا **وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ يُسْمِعُ مِنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُفْهِمُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ مَا شَاءَ، وَيُنَعِّمُ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ بِمَا أَحَبَّ**، وَيُعَذِّبُ فِي قَبْرِهِ الْكَافِرَ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ مِنْهُمُ الْعَذَابَ كَيْفَ أَرَادَ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْآثَارُ وَصَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ.

وَلَيْسَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ٨٠**﴾ [سورة النمل:٨٠]، وَلَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢**﴾ [سورة فاطر:٢٢] حُجَّةٌ لِمَنِ احْتَجَّ بِهِ فِي دَفْعِ مَا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ إِذْ قَالُوا لَهُ فِي خِطَابِهِ أَهْلَ الْقَلِيبِ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، وَلَا فِي إِنْكَارِ مَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ مُخْبِرَهُمْ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ: «إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»، إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢**﴾ [سورة فاطر:٢٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ**﴾ [سورة النمل:٨٠]، مُحْتَمِلًا مِنَ التَّأْوِيلِ أَوْجُهًا سِوَى التَّأْوِيلِ

الَّذِي تَأَوَّلَهُ الْمُوَجِّهُ تَأْوِيلَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا مَيِّتَ يَسْمَعُ مِنْ كَلَامِ الْأَحْيَاءِ شَيْئًا.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ بِطَاقَتِكَ وَقُدْرَتِكَ، إِذْ كَانَ خَالِقُ السَّمْعِ غَيْرَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هُوَ الَّذِي يُسْمِعُهُمْ إِذَا شَاءَ، إِذْ كَانَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ**﴾ [سورة النمل:٨١]. وَذَلِكَ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ الْكُفْرِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ وَالتَّوْفِيقَ لِلرَّشَادِ بِيَدِ اللهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ،

فَنَفَىٰ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يُسْمِعَ الْمَوْتَىٰ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، كَمَا نَفَىٰ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَىٰ هِدَايَةِ الضُّلَّالِ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَذَلِكَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢**﴾ [سورة فاطر:٢٢]، أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ إِسْمَاعِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ**﴾ [سورة فاطر:٢٢]، ثُمَّ نَفَىٰ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ مَا أَثْبَتَهُ وَأَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢**﴾ [سورة فاطر:٢٢]، وَلَكِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسْمِعُهُمْ دُونَكَ، وَبِيَدِهِ الْإِفْهَامُ وَالْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَإِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، فَبَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ. فَهَذَا أَحَدُ أَوْجُهِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ إِسْمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْهُمُ الْأَعْمَالُ، وَخَرَجُوا مِنْ دَارِ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ دَارِ الْجَزَاءِ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ دُعَاؤُكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبَ رَبُّكَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لَا يُسْمِعُهُمْ دُعَاؤُكَ إِلَىٰ الْحَقِّ إِسْمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ خَتَمَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا، كَمَا خَتَمَ عَلَىٰ أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُهُمْ بَعْدَ

خُرُوجِهِمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا إِلَىٰ مَسَاكِنِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ إِيمَانٌ وَلَا عَمَلٌ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ امْتِحَانٍ، وَإِنَّمَا هِيَ دَارُ مُجَازَاةٍ، وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْمَعَانِي.

فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مُحْتَمِلًا مِنَ الْمَعَانِي مَا وَصَفْنَا، فَلَيْسَ لِمُوَجِّهِهِ إِلَىٰ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِهِ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَيِّتٌ شَيْئًا بِحَالٍ حُجَّةٌ، إِذْ كَانَ لَا خَبَرَ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُصَحِّحُهُ، وَلَا فِي الْفِعْلِ شَاهِدٌ بِحَقِيقَتِهِ، بَلْ تَأْوِيلُ مُخَالِفِيهِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا أَوْلَىٰ بِالصِّحَّةِ لِمَا رُوِّينَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْهُ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ، عَلَىٰ مَا وَرَدَتْ بِهِ عَنْهُ الْآثَارُ.

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، وَقَوْلَهُ لَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، لَمَّا كَانَ عَامًّا ظَاهِرُهُ فِي كُلِّ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَفِي جَمِيعِ الْمَوْتَىٰ، مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ بَعْضٍ مِنْهُمْ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ الْقَائِلِ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْمَعُوا فِي حَالِ مَا هُمْ فِي الْبَرْزَخِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ الْأَحْيَاءِ أَوْلَىٰ بِالصِّحَّةِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِإِجَازَةِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، فَقَدْ ظَنَّ غَيْرَ الصَّوَابِ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ بَيَانَ مَا نَزَلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ إِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ ﷺ، إِذْ ذَكَرَ حَالَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ فِي قُبُورِهِمَا حِينَ يُسْأَلَانِ عَنْ دِينِهِمَا: أَنَّهُمَا يَسْمَعَانِ خَفْقَ نِعَالِ مُتَّبِعِي جَنَائِزِهِمَا إِذَا وَلَّوْا عَنْهُمَا مُدْبِرِينَ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة النمل:٨٠]، **مَعْنِيٌّ بِهِ إِسْمَاعُ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ جَمِيعِهَا، وَدَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَ مَنْ**

قَالَ: قَدْ يَسْمَعُونَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ أَوْلَىٰ بِالصِّحَّةِ مِنْ قَوْلِ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ.

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ»، إِنَّهُ لَيَعْلَمَ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ مَعْرُوفًا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْكَ مَا قُلْتَ، بِمَعْنَىٰ: فَهِمْتُ عَنْكَ مَا قُلْتَ، وَاسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ، بِمَعْنَىٰ: افْهَمْ عَنِّي مَا أَقُولُ؟

قِيلَ لَهُ: إِنْ ذَلِكَ لَوْ وَجَّهْنَاهُ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي قُلْتَهُ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ خَالَفَ قَوْلَنَا فِي أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ السَّمَاعَ الْمَفْهُومَ حُجَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنْ قُلْنَا: **مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ خَفْقَ نِعَالِهِمْ، لَمْ يَخْلُ عِلْمُهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَدَثَ لَهُمْ عَنْ سَمَاعٍ مِنْهُمْ خَفْقَ نِعَالِهِمْ، أَوْ عَنْ خَبَرٍ أُخْبِرُوا بِهِ فِي قُبُورِهِمْ، وَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ فَإِنَّهُ مُحَقِّقٌ قَوْلُنَا فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يُسْمِعُ مِنْ شَاءَ مِنَ الْأَمْوَاتِ مَا شَاءَ مِنْ كَلَامِ الْأَحْيَاءِ، وَيُعَرِّفُ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَيُنَعِّمُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فِي قَبْرِهِ بِمَا شَاءَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ كَيْفَ شَاءَ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...]**

فالذي يستفاد من كلام الطبري هو:

[١] الْإِقْرَار بِأَنَّ اللهَ يُسْمِعُ مِنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَغَيْرِهِمْ عَلَىٰ مَا شَاءَ، وَيُفْهِمُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ مَا شَاءَ، وَيُنَعِّمُ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ بِمَا أَحَبَّ.

قلت: فالله ﷻ هو الذي يسمع الميت كلام الحي بقدرته ومشيئته وإذا شاء سبحانه ألا يسمعه لا يسمعه **فلا يقال أنه يسمع في كل وقت وحال علىٰ سبيل الإطلاق**

متىٰ ما خاطبته سمعك بل يسمع إذا شاء الله أن يسمعه وهذا غيب نصدق به ولا نبحث عنه ولا عن كيفه.

فمحل الاتفاق بين المثبت لسماع الموتىٰ والنافي لسماعهم هو أن الميت لا يسمع علىٰ أي حال مطلقا وفي كل وقت كلام الحي.

والذي عليه الأكثر هو أنه أي الميت يسمع في أحوالٍ كلام الأحياء بمشيئة الله وقدرته وتقدم ذكر أدلة هذا القول وهو الصواب.

[٢] توجيه قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [سورة الروم:٥٢]. علىٰ وجهين

الوجه الأول: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ بِطَاقَتِكَ وَقُدْرَتِكَ، إِذْ كَانَ خَالِقُ السَّمْعِ غَيْرَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هُوَ الَّذِي يُسْمِعُهُمْ إِذَا شَاءَ، إِذْ كَانَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ

الوجه الثاني: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ إِسْمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْهُمُ الْأَعْمَالُ، وَخَرَجُوا مِنْ دَارِ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ دَارِ الْجَزَاءِ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ دُعَاؤُكَ إِيَّاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ

قلت: وهذا الوجه مهم جدا فمعنىٰ قول الله تعالىٰ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي سمعا ينتفعون به في أنفسهم وهذا في الكفار.

وأما المسلم الميت فقد ينتفع ببعض الأعمال يعملها الأحياء بعد موته بإذن الله كالاستغفار له والصدقة ونحو ذلك.

وأما المسلم الحي فقد ينتفع بدعاء الميت له حين تُعرَضُ أعمال الأحياء علىٰ

الأموات في قبورهم.

والذي يعرضها هو الله سبحانه بأمره وهذا غيب نصدق به ولا نبحث عنه.

٨٨ - روى **ابن سعد في الطبقات:** أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدِّبُ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ غَالِبٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، **فَإِذَا أَنَا مِتُّ كَانَتْ وَفَاتِي خَيْرًا لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُ خَيْرًا حَمِدْتُ اللهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ**»

قلت: وهذا مرسل صحيح وانتبه أنه قال [تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ] فالذي يعرضها الله تعالىٰ بأمره كما أن الصلاة والسلام يبلغها إياه ملك بأمر الله تعالىٰ

٨٩ - روى **أبو إسحاق القاضي في فضل الصلاة:** حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ: ثنا وُهَيْبٌ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: بَلَغَنِي -وَاللهُ أَعْلَمُ -أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ بِكُلِّ مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ **حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ النَّبِيَّ ﷺ**.

- **وقال**: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ وَاقِدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: ثنا هُشَيْمٌ قَالَ: ثنا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، **أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ يُبَلِّغُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا مِنْ أُمَّتِكَ صَلَّىٰ عَلَيْكَ**

٩٠ - روى **ابْنُ الْمُبَارَكِ في كتاب الزهد:** قَالَ: أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي رُهْمٍ السَّمَاعِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: " إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الْعَبْدِ تَلَقَّاهُ أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ اللهِ كَمَا يَلْقَوْنَ الْبَشِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ؟ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟ فَإِذَا سَأَلُوا عَنِ الرَّجُلِ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ

هَلَكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذُهِبَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الْأُمُّ، وَبِئْسَتِ الْمُرَبِّيَةُ، قَالَ: فَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَإِذَا رَأَوْا حَسَنًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، وَقَالُوا: هَذِهِ نِعْمَتُكَ عَلَىٰ عَبْدِكَ فَأَتِمَّهَا، وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا: اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِعَبْدِكَ.

- أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْلَىٰ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَوْسٍ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ لَهُ: «اسْتَأْذِنْ لِي عَلَىٰ بِنْتِ أَخِي» -وَهِيَ زَوْجَةُ عُثْمَانَ، وَهِيَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ -فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «كَيْفَ فَعَلَ زَوْجُكِ بِكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهُ لَمُحْسِنٌ فِيمَا اسْتَطَاعَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ عُثْمَانَ، وَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِنَّكَ لَا تَصْنَعُ بِهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ»، قَالَ: وَهَلْ يَأْتِي الْأَمْوَاتَ أَخْبَارُ الْأَحْيَاءِ؟ قَالَ: " نَعَمْ، مَا مِنْ أَحَدٍ لَهُ حَمِيمٌ إِلَّا يَأْتِيهِ أَخْبَارُ أَقَارِبِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سُرَّ بِهِ، وَفَرِحَ بِهِ، وَهَنِئَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا ابْتَأَسَ بِذَلِكَ، وَحَزِنَ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنِ الرَّجُلِ قَدْ مَاتَ، فَيُقَالُ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ خُولِفَ بِهِ إِلَىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ.

٩١ - قال **أَبُو بَكْرٍ بن أبي الدنيا في كتاب المنامات:** ثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثني يَحْيَىٰ بْنُ إِسْحَاقَ، ثني عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي رُهْمٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: " تُعْرَضُ أَعْمَالُكُمْ عَلَىٰ الْمَوْتَىٰ، فَإِنْ رَأَوْا حَسَنًا فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا **وَقَالُوا: اللَّهُمَّ هَذِهِ نِعْمَتُكَ عَلَىٰ عَبْدِكَ فَأَتِمَّهَا عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَوْا سُوءًا قَالُوا: اللَّهُمَّ رَاجِعْ بِهِ.**

- وَذَكَرَ **ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا** عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحُوَارَىٰ قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدٌ أَخِي قَالَ: دَخَلَ عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ عَلَىٰ فِلَسْطِينَ فَقَالَ: عِظْنِي، قَالَ: بِمَ

أَعِظُكَ، أَصْلَحَكَ اللهُ؟ **بَلَغَنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَىٰ أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَىٰ، فَانْظُرْ مَا يُعْرَضُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ، فَبَكَىٰ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ.**

- **قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا**: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الْأُمَوِيُّ، ثَنَا صَدَقَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيُّ قَالَ: كَانَتْ لِي شِرَّة سَمِجَة، فَمَاتَ أَبِي فَتُبْتُ وَنَدِمْتُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ، ثُمَّ زَلَلْتُ أَيَّمَا زَلَّةٍ، فَرَأَيْتُ أَبِي فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: **أَيْ بُنَيَّ، مَا كَانَ أَشَدَّ فَرَحِي بِكَ وَأَعْمَالُكَ تُعْرَضُ عَلَيْنَا، فَنُشَبِّهُهَا بِأَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ اسْتَحْيَيْتُ لِذَلِكَ حَيَاءً شَدِيدًا، فَلَا تُخْزِنِي فِيمَنْ حَوْلِي مِنَ الْأَمْوَاتِ**، قَالَ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ فِي السَّحَرِ، وَكَانَ جَارًا لِي بِالْكُوفَةِ: أَسْأَلُكَ إِيَابَةً لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا حَوْرَ، يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ، وَيَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

قلت: فهذه الآثار حق نصدق بها لكن لا نقيس عليها وذلك أنها الغيب تصديق وتسليم فلا تضرب الأمثال ولا ينصب لها القياس.

والمعنىٰ أن يظن ظان مادام الميت يدعو للحي في عالم الغيب البرزخ فهذا يلزم منه أن يسأل الحي الميت الدعاء...

فيقال لو التزم شخص بهذا للزمه أن يسأل الحوت في البحر والنمل في جحره والملائكة من حضرك منهم ومن غاب عنك والحجر والشجر والتراب والرمل وكل رطب ويابس ما علمت منه و ما لم تعلم أن يستغفر له ويدعو له لأن هذه المذكورات تستغفر للمسلمين وطلبة العلم والعلماء الربانيين.

فلو التزم شخص هذا لكان أعتىٰ مشرك في الدنيا...والله المستعان...

لذلك آثار الغيب في دعاء الميت للحي حال عرض الله تعالىٰ بأمره عمل الحي

على الميت هي للتصديق والتسليم ولا تنصب لها الأقيسة فيقاس الشاهد على الغيب والعكس فانتبه.

والمشركون قديما وحديثا أصل شركهم ومدخله من القياس.

فيقول لك المشرك أن النبي ﷺ يشفع لنا يوم القيامة بإذن الله فأنا أسأله ذلك.

ويقول لك أيضا أن النبي ﷺ يدعو لنا في قبره حين تعرض عليه أعمالنا بإذن الله فأنا أسأله ذلك.

فالجواب: يقال له الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله والدعاء الذي هو نوع من أنواعها لا يكون إلا بعد إذن الله.

فالميت لا يشفع ابتداء حتى يؤذن له وأيضا لا يدعو ابتداء حتى يعرض عليه ويبلغ بأمر الله تعالى فالباب واحد عند تبصر والله المستعان.

لذلك الصحابة رضي الله عنهم علموا أن النبي ﷺ أُعطي الشفاعة في الأخرى فلم يطلبوها منه بعد مماته وكذلك علموا أن الموتى يستغفرون للأحياء حين تعرض عليهم أعمالهم فلم يطلبوا من الميت الدعاء مطلقا في وقت من الأوقات وذلك لعلمهم أن شفاعة الميت للحي ودعاءه له لا يكون إلا بعد إذن الله وأمره الغيبي فانتبه.

٩٢ – قال **ابن أبي الدنيا في المنامات**: ثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ فَيُسَرُّونَ وَيُسَاءُونَ**».

- وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، يَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يُخْزَىٰ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ».

٩٣ - وروى **في كتاب الأولياء**: نا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: " غَزَوْنَا حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ إِذَا قَاصٌّ يَقُولُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ عُرِضَ عَلَىٰ مَعَارِفِهِ إِذَا أَمْسَىٰ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ عُرِضَ عَلَىٰ مَعَارِفِهِ إِذَا أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: أَيُّهَا الْقَاصُّ، انْظُرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ لَا تَفْضَحْنِي عِنْدَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَلَا عِنْدَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا عَمِلْتُ بَعْدَهُمَا**، فَقَالَ الْقَاصُّ: وَإِنَّهُ وَاللهُ مَا كَتَبَ اللهُ مَا كَتَبَ وِلَايَتَهُ لِعَبْدٍ إِلَّا سَتَرَ عَلَيْهِ عَوْرَتَهُ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ.

٩٤ - وروى **أبو داود في كتاب الزهد**: نا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: نا ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَلَا إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىٰ عَشَائِرِكُمْ، فَمُسَاؤُونَ وَمُسَرُّونَ، **فَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يَخْزَىٰ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ. وَهُوَ أَخُوهُ مِنْ أُمِّهِ.**

٩٥ - وروى **ابن ابن المبارك في الزهد**: أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَقُولُ: " لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُعْرَضُ فِيهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ، لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء: ٤١].

فالمقصود أن الميت يدعو للحي بعد إذن الله له وكذلك يشفع بعد إذن الله له وهذا

كله غيب.

فلا يقال مادام أعطاهم الله الدعاء فلماذا لا أسألهم ما يقدرون عليه مما أعطاهم الله تعالىٰ؟

فيقال:

أولا: الله سبحانه أعطاهم الدعاء بعد إذنه لهم وأمره سبحانه لهم يدعون لك ويستغفرون مثل الشفاعة أعطاهم الشفاعة ولا يشفعون لك إلا بعد إذن الله تعالىٰ فالباب واحد فلا يدعو أحد من الموتىٰ لحي إلا بعد إذنه سبحانه وأمره.

لا أن الموتىٰ من أنفسهم يدعون لك ابتداء كما هو الشأن في الأحياء يدعون لك طلبت أو لم تطلب.

ثانيا: أن الله تعالىٰ نهىٰ الحي العاقل أن يدعو الموتىٰ ويسألهم ما فيه نفع له دنيوي أو أخروي لأن الميت لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا أو ضرا.

فان قلت هو يملك الدعاء والاستغفار...

عدنا للجواب السابق لا يملك الميت الدعاء والاستغفار لأحد، بل الأمر كله لله تعالىٰ هو الذي يأمره بالدعاء والاستغفار لمن شاء كما شاء متىٰ شاء فلله الأمر هو الذي يسأل أن يرزقك وينفعك بدعاء النبي ﷺ وشفاعته فيك

فتقول [اللهم شفع في نبيك اللهم ارزقني دعاء نبيك أو اللهم اجعلني ممن يستغفر لهم نبيك ﷺ ونحو ذلك] **فهذا هو التوحيد الخالص الذي لا وسائط فيه.**

أما أن تقول [يا رسول الله استغفر لي عند ربك أو ادع الله لي بالنصرة ونحوه] **فهذا هو شرك الوسائط الذي يناقض أصل التوحيد فانتبه.**

فالقبريون وأزواجهم يحسبون أن من سأل ميتا الدعاء فقد سأله ما يقدر عليه.

وبهذا نفوا الشرك **وهذه الشبهة العليلة لي نشرة خاصة فيها بإذن الله تعالىٰ.**

ولكن أقول هاهنا هذا كلام باطل علىٰ العكس من تصوركم، بل من سأل ميتا الدعاء فقد سأله ما لا يقدر عليه في قبره لأن الدعاء يملكه الله سبحانه وحده فهو الذي يأذن للميت به لمن شاء من الأحياء متىٰ شاء زمانا ومكانا ﷻ.

فكما أن ربنا هو وحده القادر علىٰ إيصال صوت الحي للميت في قبره إذا شاء فهو أيضا سبحانه القادر علىٰ أن يأذن للميت أن يدعو للحي متىٰ شاء وكيف شاء.

أما أن يقوم الميت من نفسه بالدعاء لك لمجرد طلبك له فهو غير قادر عليه حتىٰ يأذن الله له بذلك، لذلك لا يشرع سؤاله ولا الطلب منه لعجزه عن فعل ذلك كما أن الميت من نفسه لا يقوم بالشفاعة لك لمجرد طلبك له حتىٰ يأذن الله له بها **فالباب واحد ولكن القبورية وأزواجهم يفرقون؟**

فالمقصود أن من سأل ميتا الدعاء فقد سأله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ وهذا مناط شركي آخر إضافة لمناط الأصلي وهو اتخاذ الموتىٰ وسائط ووسائل في قضاء الحاجات من الله تعالىٰ.

[٣] سماع الموتىٰ كلام الأحياء (مَعْنِيٌّ بِهِ إِسْمَاعُ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ جَمِيعِهَا)

قلت: وهذا الأصل مهم أيضا أن نعلم أن الموتىٰ لا يسمعون كل كلام الأحياء وإنما سمعهم محدود ومقدر بقدر حسب مشيئة الله تعالىٰ.

فالحي الذي يقول لميت [يا فلان ادع الله لي] يقال له ما الدليل أنه يسمع هذا الطلب بعينه الآن؟

فإن قال دلت الأخبار والآثار أن الموتىٰ يسمعون.

فالجواب أنهم يسمعون بعض الكلام كالدعاء لهم والسلام عليهم وهذا من جنس الدعاء لهم وكله بإذن الله إذا شاء أن يسمعهم.

لكن أنت أيها المشرك [تقول للميت ادع الله لي] فما هو الدليل أنه يسمع هذا الكلام بعينه؟

هل ورد في الأخبار أن الموتىٰ يسمعون سؤال من طلب منهم الدعاء؟

لأن النصوص التي دلت أنهم يسمعون ليس فيها قط أنهم يسمعون كل كلام ولا أنهم يسمعون سؤال من طلب منهم الدعاء.

فالقول بأنهم سمعوا سؤال من طلب منهم الدعاء رجم بالغيب وقول بالظن وتخرص من القبريين وأزواجهم.

ويقال أيضا هب أنهم سمعوا هذه المقالة يا فلان ادع الله لي فما الدليل أنه يجيبك؟

فإن قلت: وردت أخبار أن الموتىٰ يدعون للأحياء.

فالجواب: أنهم يدعون للأحياء بعد أمر الله لهم وليس لأن الأحياء طلبوا منهم عند قبورهم

بل كما ذكرت لك سابقا الميت عاجز عن أن يسمع قول الحي له [يا فلان ادع الله لي] بعينها وعاجز أن يجيبه علىٰ ذلك من نفسه مطلقا حتىٰ يأذن الله له بأمر خاص في فلان وعلان بأعيانهم بخلاف الحي فهو قادر أن يدعو لمن شاء بعينه ولا يفتقر لإذن خاص لكل أحد بعينه.

أما الميت فهو مفتقر لأمر خاص وعرض خاص لكل أحد بعينه.

ولولا هذا الأمر المعين والعرض الخاص بإذن الله ومشيئته فإنه لا يستطيع أن يدعو من نفسه ابتداء فانتبه لهذا الفارق المهم.

وصدق الله الذي قال في محكم تنزيله ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [سورة فاطر:١٣-١٥]

٩٦ - وروى ابن أبي حاتم في تفسيره: عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ **أَي مَا قَبِلُوا ذَلِكَ مِنْكُمْ** ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ قَالَ: لَا يَرْضَوْنَ، وَلا يُقِرُّونَ بِهِ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ وَاللهُ هُوَ الْخَبِيرُ أَنَّهُ سَيَكُونُ هَذَا مِنْ أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٩٧ - قال يحي بن سلام في تفسيره: قَالَ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ [سورة فاطر:١٤]، **يَعْنِي: تُنَادُوهُمْ.**

﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [سورة فاطر:١٤] **نِدَاءَكُمْ تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ.**

﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [سورة فاطر:١٤] بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [سورة فاطر:١٤] وَهُوَ اللهُ.

٩٨ - وجاء في «تفسير الطبري جامع البيان -ط دار التربية والتراث» (٢٠/ ٤٥٣):

«﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، **وليس**

كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه».

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦].

٩٩ - قال مقاتل في تفسيره: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ أبدا إذا دعاه يقول لا تجيبهم الآلهة يعني الأصنام بشيء أبدا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثم قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ يعني الآلهة غافلون عن من يعبدها.

١٠٠ - وجاء في «تفسير الطبري جامع البيان -ط دار التربية والتراث» (٢٢/ ٩٥):

وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [سورة الأحقاف:٥] يقول تعالىٰ ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، **لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل**. وإنما عنىٰ بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب.

فالخلاصة:

- أن الميت يسمع بعض كلام الأحياء وليس كله ويسمعه أحيانا وليس دائما في كل وقت.

وها هو ابن تيمية الحفيد يوافق علىٰ هذا التأصيل الأثري المهم كما «مجموع

الفتاوىٰ» (٢٤/ ٣٦٤): [**فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ فِي الْجُمْلَةِ كَلَامَ الْحَيِّ وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِمًا بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعُ إدْرَاكٍ** لَيْسَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ وَلَا هُوَ السَّمْعُ الْمَنْفِيُّ بِقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ**﴾ [سورة النمل:٨٠] **فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقَبُولِ وَالِامْتِثَالِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ وَكَالْبَهَائِمِ الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تَفْقَهُ الْمَعْنَىٰ، فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَىٰ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إجَابَةُ الدَّاعِي وَلَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ**، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَإِنْ سَمِعَ الْخِطَابَ وَفَهِمَ الْمَعْنَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ**﴾ [سورة الأنفال:٢٣]]

- ➢ لم يرد نص خاص أن الميت يسمع طلب الحي منه أن يدعو له عند الله فالمثبت يلزمه الدليل ولا دليل و إنما هو مجرد ظن وقول بلا علم بل الوارد أنه يسمع الدعاء له والسلام وهو من جنس الدعاء له وكذا قرع النعال بإذن الله ومشيئته

- ➢ نجزم ونقطع أن الموتىٰ لو جاز أن يسمعوا ويفهموا من الحي قوله [يا فلان ادع الله لي] فإنهم لا يجيبون ولا يستطيعوا أن يجيبوا لعجزهم وافتقارهم للأمر الخاص من الله تعالىٰ فانتبه.

١٠١ - وكما تقدم سابقا لما قيل لرسول الله ﷺ حين نادىٰ أهل القليب قال الصحابة رضي الله عنهم يَا رَسُولَ اللهِ، تُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا.**

١٠٢ - وفي رواية أخرىٰ لأحمد: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا**

يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا.

١٠٣ - وفي رواية البخاري: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، **وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ**».

١٠٤ - وفي رواية عند مسلم: «مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**».

١٠٥ - وله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا**»

١٠٦ - وفي رواية أبي يعلىٰ الموصلي في مسنده: «مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي**»

١٠٧ - وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، **وَلَكِنَّهُمُ الْيَوْمَ لَا يُجِيبُونَ**»

قلت: وهذا النص الذي هو عمدةٌ عند عامة أهل العلم في إثبات سماع الميت ولكن القبريين وأزواجهم آمنوا ببعض وتركوا بعضا وهو أن الميت يسمع بإذن الله ومع سماعه ذلك:

١-لا يستطيع الإجابة

٢-لا يستطيع الجواب

٣-لا يستطيع أن يرد شيئا

٤-لا يقدر أن يجيب.

هذه أوصاف لمعنىٰ واحد وهو أن الميت عاجز عن الإجابة لمن ناداه أو دعاه.

وبهذا تزداد بصيرة أيها الموحد أن من سأل ميتا أن يدعو الله له ولو سمعه لا يجيبه ولا يقدر على أن يجيبه ولا يستطيع.

وحينها قد دخل هذا الداعي في آي من القرآن كفر الله تعالى بها الذي يدعو من لا يجيبه.

كقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [سورة الرعد:١٤].

فدعاء الكافرين هو دعاء من لا يستجيب وليس دعاء الموحدين المسلمين ولو كانوا مبتدعين فانتبه...

[٤] أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يُسْمِعُ مِنْ شَاءَ مِنَ الْأَمْوَاتِ مَا شَاءَ مِنْ كَلَامِ الْأَحْيَاءِ، وَيُعَرِّفُ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَيُنَعِّمُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فِي قَبْرِهِ بِمَا شَاءَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ كَيْفَ شَاءَ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قلت: ومعرفة الميت بحال الحي هي بإخبار الله لهم الذي بيده الأمر كله سبحانه ومن جملة ذلك الرؤى والمنامات ونحو ذلك لا أن الموتى من عند أنفسهم يعلمونه.

فمن زعم أن ميتا من الأموات يعلم حال الأحياء من نفسه فهو مشرك بالله تعالى.

١٠٨ - روى **ابن أبي الدنيا في المنامات:** نا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، نا الْفَضْلُ بْنُ مُوَفَّقٍ، قَالَ: كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي كَثِيرًا، قَالَ: شَهِدْتُ جِنَازَةً فَلَمَّا قُبِرَ صَاحِبُهَا تَعَجَّلْتُ لِي حَاجَةً وَلَمْ آتِ قَبْرَ أَبِي فَأُرِيتُهُ فِي النَّوْمِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لِمَ لَمْ تَأْتِنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي؟ قَالَ: إِي وَاللهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مِنْ حِينَ تَطْلُعُ مِنَ الْقَنْطَرَةِ حَتَّىٰ تَقْعُدَ إِلَيَّ وَتَقُومَ مِنْ عِنْدِي، فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مُوَلِّيًا حَتَّىٰ تَجُوزَ

الْقَنْطَرَةَ.

وَثني إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، وَثني ابْنُ أَبِي الْمُتَّئِدِ، قَالَ: قَالَتْ لِي تُمَاضُرُ بِنْتُ سَهْلٍ، امْرَأَةُ أَيُّوبَ بْنِ عُيَيْنَةَ: جَاءَتْنِي ابْنَةُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَقَالَتْ: أَيْنَ عَمِّي أَيُّوبُ؟ قُلْتُ: فِي الْمَسْجِدِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ فَقَالَتْ: أَيْ عَمِّ إِنَّ أَبِي جَاءَنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ: جَزَىٰ اللهُ أَخِي أَيُّوبَ عَنِّي خَيْرًا فَإِنَّهُ يَزُورُنِي كَثِيرًا، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي الْيَوْمَ فَقَالَ أَيُّوبُ: نَعَمْ حَضَرْتُ جِنَازَةً فَذَهَبْتُ إِلَىٰ قَبْرِهِ.

ومثل هذه الأخبار وغيرها في سماع الموتىٰ لكلام الأحياء بإذن الله نصدق بها ولا ننصبها أصولا للقياس كما يفعل القبريون وأزواجهم.

والإتفاق قائم أن الميت لا يسمع كل كلام الحي في كل وقت وحين ولا يسمع طلباته بالدعاء والشفاعة بعينها ولو سمعها منه فإنه لا يقدر ولا يستطيع أن يجيب من نفسه.

وأن الميت لا يدعو للحي حتىٰ يأذن الله له إذنا خاصا معينا بأن يدعو له فلا يبتدر الميت ذلك من نفسه هذه كله مواطن لا خلاف فيها وتقدم معنا دلائلها.

وإنما الخلاف هل يسمع سمع أذن أحيانا بعض كلام الأحياء بإذن الله ومشيئته فهو الذي يُسمعُه سبحانه بقدرته؟

فالذي عليه عامة العلماء من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم جواز ذلك وهو الصواب.

وظاهر كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المنع من ذلك والله أعلم.



جواب حول

سؤال الميت ما لا يقدر عليه إلا الله




جواب حول سؤال الميت ما لا يقدر عليه إلا الله

فهذا جواب إشكال يلبس من خلاله القبريون وأزواجهم

وهو [من سأل الميت الدعاء هل سأله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ أم هو يسأل الميتَ ما يقدر عليه ويملكه؟]

فالذي يزعمه القبريون وأزواجهم أن من سأل الميت الدعاء فهو يسأله ما يقدر عليه.

وبهذا الوجه ينفون الشرك الأكبر عن الفعل واسم الشرك عن فاعله.

مع العلم أن مناطات الشرك ووجوه الكفر في الذي يسأل الميت الدعاء من غير وجه محكمة بينتها النصوص وأمرها السلف كما جاءت بلا تفصيل.

وبإذن الله أخصص لها نشرة مستقلة والله المستعان.

فالمقصود هو هل الميت قادر علىٰ الدعاء لك أو هل الدعاء تحت قدرة الميت في قبره؟

والجواب من وجوه ضمنها مقدمات مهمة تشرح ألفاظ المسألة وضبط معانيها أثريا:

أولا: اعلم – وفقك الله – أن القدرة المؤثرة والإرادة الجازمة سبب في حصول الفعل من الحي **فالفارق بين الحي والميت هو الفعل و لا يكون الفعل من الحي من جهة الأسباب المؤثرة إلا بقدرة وإرادة**

١٠٩ – **وجاء في «خلق أفعال العباد للبخاري» (ص٨٥):** [وَلَقَدْ بَيَّنَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ أَنَّ كَلَامَ الرَّبِّ لَيْسَ بِخَلْقٍ، **وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ حَيٌّ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ مَيِّتٌ**]

١١٠ – **وجاء في «نقض الدارمي علىٰ المريسي –ت الألمعي» (١/ ٢١٥):** «**لِأَنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ. كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ.** وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ»

فالميت لا فعل ولا حركة له وهذا الفارق بينه وبين الحي كما تقدم.

ثم يقال أيضا أن الفعل لا يكون من جهة السبب إلا بقدرة مؤثرة وإرادة جازمة فالعلاقة بين قدرة العبد وفعله علاقة السبب بالمسبب.

فالنتيجة المرتبة علىٰ هاتين المقدمتين **هو أن الميت لا قدرة له سابقة ولا إرادة علىٰ إيجاد الفعل.**

وأصل غلط القبريين ومن دخلت عليهم شبهتهم من أدعياء السلفية هو قياسهم حال الميت في قبره على حال الحي في الدنيا وهذا باطل شرعا وعقلا

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر:٢٢].

والمعلوم من قواعد البيان العربي أن نَفْي الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الشيئين يقتضي العموم إلا ما استثناه النص والدليل.

وقد جعل الفارق بين الحي والميت هو **الفعل** فالحي يفعل من جهة السبب بقدرة وإرادة.

وأما الميت فلا فعل له كما ذكره نعيم بن حماد والدارمي رحمهما الله

ثانيا: إذا علم أن الميت لا قدرة له على الفعل لأنه ميت قد انقطع عمله فإن الدعاء والشفاعة وغيرها من المطالب من جنس الأفعال وبالتالي لا يقدر على فعلها لأن الميت لا فعل له من نفسه إلا أن يأذن الله له بالفعل.

فهنا قد يقول قائل أليس الحي أيضا لا يفعل حتى يشاء الله له إذ كل شيء بمشيته سبحانه؟

قيل له بلى لا يفعل الحي فعلا إلا بمشيئة الله له فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

لكن الفارق أن الحي له قدرة مؤثرة على الفعل ولا يقع فعله إلا بإذن الله.

أما الميت فليس له أصلا القدرة السابقة المؤثرة في الفعل لأنه ميت وبهذا فارق الحي كما قاله نعيم بن حماد والدارمي رحمهما الله فانتبه.

فالذي يزعم من القبريين وغيرهم أن الميت يقدر علىٰ فعل الدعاء بقدرة سابقة من جنس قدرة الحي علىٰ الدعاء في الدنيا فقد جمع بين ما فرق الله تعالىٰ حين نفىٰ سبحانه الاستواء بين الحي والميت.

وكذلك نص السلف صراحة أن **الفارق بين الحي والميت هو الفعل**

ثالثا: إذا علم ما سبق يتبين لك أن من سأل الميت أي فعل من الأفعال ليفعلها له كالدعاء والشفاعة والاستغاثة وغيرها فقد سأله ما لا يقدر علىٰ فعله لأن الميت لا يفعل ولا يتحرك لأنه ميت بخلاف الحي.

فقول القائل من القبريين و أزواجهم أن من طلب من الميت الدعاء فإنه لم يسأله ما لا يقدر عليه إلا الله جهل عظيم وغفلة شديدة.

أليس الدعاء فعل من جنس الأفعال؟

والميت لا قدرة له علىٰ الفعل لأنه ميت سواء فعل الدعاء أو غيره.

وبالتالي من سأله الدعاء فقد سأله ما لا يقدر عليه وهذا صنف من صنوف الشرك الأكبر.

رابعا: يعتقد أهل السنة أن للعبد قدرة سابقة علىٰ الفعل وهي مؤثرة في وجوده علىٰ جهة السببية خلافا للجبرية الجهمية ويثبتون قدرة مع الفعل مقارنة له خلافا للقدرية.

والمقصود بالقدرة السابقة علىٰ الفعل هي سلامة آلات العبد الحي وسلامة أعضائه التي يمكنه من خلالها الفعل ولا يلزم وجودها وجود الفعل بل قد توجد ويتخلف عنها الفعل.

وهذه القدرة السابقة من أنواعها الاستطاعة الخاصة التي يشترطها الفقهاء في مسائل الأحكام وتتعلق بالإرادة الشرعية.

وأما القدرة المقارنة للفعل المقدور لا يتخلف ولا يتأخر عنها فإذا وجدت وجد الفعل وهذه تتعلق بالإرادة الكونية.

والسؤال للقبريين وأزواجهم هل الميت في قبره عنده قدرة سابقة علىٰ الفعل أم لا؟

وهذا السؤال مهم جدا وهو حاسم في نقاشنا مع هؤلاء القبريين ومن دخلت عليهم شبهتهم.

ومعناه هل للميت سلامة الآلات وصحة أعضاء سابقة علىٰ الفعل وهو في قبره؟

دلت الآثار أن الميت قد يسمع بعض كلام الأحياء إذا شاء الله أن يسمعهم كما تقرر في الجواب السابق.

لكن سمعه لبعض كلام الأحياء أحيانا لا يدل أن له قدرة سابقة كقدرة الأحياء علىٰ السماع ولكن الله يرد إليه روحه ويخلق فيه سمعا به يدرك الصوت ويسمعه إياه بمشيئته.

١١١ - روى **أحمد في مسنده**: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: وَحَدَّثَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَمَرَ بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَىٰ قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، قَالَ: فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ أَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الْيَوْمُ

الثَّالِثُ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَشُدَّتْ بِرَحْلِهَا، ثُمَّ مَشَىٰ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: فَمَا نَرَاهُ يَنْطَلِقُ إِلَّا لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ، قَالَ: حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ شَفَةِ الطَّوِيِّ، قَالَ: فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: " يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَسَرَّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ "

قَالَ عُمَرُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا، قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ "

- **قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ ﷻ لَهُ حَتَّىٰ سَمِعُوا قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً.**

- **وفي رواية قَالَ قَتَادَةُ: بَعَثَهُمُ اللهُ ﷻ لِيَسْمَعُوا كَلَامَهُ تَوْبِيخًا وَصَغَارًا وَتَقْمِئَةً.**

- **وفي رواية قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّىٰ أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا، وَتَقْمِئَةً. وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً.**

- **وفي رواية قَالَ سَعِيدٌ: قَالَ قَتَادَةُ: «أَحْيَاهُمُ اللهُ وَاللهِ لَهُ حَتَّىٰ سَمِعُوا قَوْلَهُ».**

١١٢ - **قال الطبري في «تهذيب الآثار مسند عمر» (٢/ ٥١٩)**: «فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ بِطَاقَتِكَ وَقُدْرَتِكَ، **إِذْ كَانَ خَالِقُ السَّمْعِ غَيْرَكَ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هُوَ الَّذِي يُسْمِعُهُمْ إِذَا شَاءَ**، إِذْ كَانَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ».

فالمقصود أن الميت لا قدرة له سابقة علىٰ فعل السمع من جنس قدرة الحي علىٰ ذلك بل إذا أراد الله أن يسمعه رد إليه روحه فسمع ما شاء الله أن يسمع

١١٣ - **وروى أحمد في مسنده**: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:

مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ ﷻ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ ﷺ.

فالميت لكي يسمع تسليم من سلم عليه يرد الله إليه روحه وهنا يبين لك أنه لا قدرة سابقة علىٰ السماع من نفسه حتىٰ يسمعه الله تعالىٰ إذا شاء برد روحه له.

فجواب السؤال السابق لا قدرة للميت علىٰ فعل السماع حتىٰ يسمعه الله تعالىٰ فيجعل له حينها القدرة مقارنة لفعل السماع وأما قبل ذلك فلا قدرة له سابقة لأنه ميت والميت لا فعل له.

خامسا: الميت ليس له القدرة السابقة أن يدعو لك حتىٰ يأمره الله تعالىٰ أمرا خاصا بأن يدعو لفلان وفلان وغيرهم فحينها يفعل وذلك لما يعرض الله عليه أعمال الأحياء كما تقرر في الجواب السابق.

أما أن يظن القبريون وأزواجهم أن الميت له القدرة السابقة أن يدعو لك فلا...

لأن القدرة علىٰ الدعاء فعل والميت لا قدرة له علىٰ الفعل حتىٰ يأذن الله له إذنا خاصا أن يفعل

سادسا: كلمة ما لا يقدر عليه إلا الله في باب الدعاء والطلب علىٰ نوعين:

أولا: ما يشترك فيه الحي والميت في عدم القدرة عليه وهي الأفعال التي اختص الله بها وحده لا شريك له كمغفرة الذنوب والنجاة من النار وهداية القلوب وإنزال المطر وإرسال الرياح وهبة الذرية ونحوها

فمن سأل حيا أو ميتا أن يفعل له هذه الأفعال فهو مشرك كافر في الربوبية والعبادة.

ثانيا: ما يختص به الميت دون الحي في عدم القدرة علىٰ فعله وهي الأفعال

السببية كالشفاعة والدعاء.

فهذه الأفعال الميت لا قدرة له سابقة علىٰ فعلها حتىٰ يأذن الله له بفعلها بخلاف الحي فعنده القدرة السابقة علىٰ التسبب في حصول هذه الأشياء **للقاعدة السلفية الفرق بين الحي والميت هو الفعل فالحي يفعل والميت لا فعل له.**

فمن سأل ميتا الدعاء فإنه سأله ما لا يقدر علىٰ فعله ابتداء حتىٰ يأذن الله له فيه.

فإذا لم يأذن الله له فيه فالميت من نفسه عاجز علىٰ الإستجابة لك لطلبك

فحينها قد سألت وناديت ودعوت من لا يستجيب لك بشيء **وهذا حقيقة شرك الأولين.**

سابعا: اعلم وفقك الله أن هذا المقام ليتحرر لك تحتاج إلىٰ مقدمتين:

أحدهما: أن يقال هل طلب الدعاء من الميت سبب كوني لحصول المطالب؟

يعني هل الله عزوجل جعل سؤال الميت الدعاء سببا لقضاء الحاجة؟

فإن قلت نعم.

قيل فما النص الدال علىٰ أنه سبب في قضاء الحاجة؟

بل جعل الله سؤال الميت خذلان وحرمان لأنك تسأل من لا يستجيب لك بشيء من نفسه **لأن الإستجابة فعل والميت لا فعل له كما قال السلف**

قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الرعد: ١٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [سورة الأعراف:١٩٤-١٩٥].

والثانية: لو قدر أن طلب الدعاء من الميت سبب كوني في قضاء حاجتك من الله تعالىٰ

فهل كل سبب كوني يجوز فعله شرعا؟

الجواب لا بل قد يكون السبب الكوني في حصول شيء ممنوع في الشرع فعله

مثاله الذي يقطع الطريق علىٰ التجار فهذا سبب كوني في حصول الرزق لكنه ممنوع شرعا فعله

وكذلك لو جاز أن طلب الدعاء من الميت يحصل به المطلوب كسبب كوني

فهل في الشرع يجوز فعله ومباشرته؟

لذلك لم يثبت قط دليل يدل علىٰ جواز هذا الفعل أبدا بل الدليل دل أن من اتخذ الوسائط بينه وبين الله في حصول مطالبه أنه مشرك كافر وبيانه في الوجه الذي بعده.

ثامنا: يدين المشركون أهل الجاهلية بأن الوسائط التي يسألونها سبب في حصول المطلوب من الله تعالىٰ لذلك كانوا يقرون بأنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك ولا تدبر ولكنها تشفع بمعنىٰ تسأل الله وتكلمه بحاجاتهم فرد الله عليهم فقال [من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه].

١١٤ – روى ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق: عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ **قَالَ: مَنْ يَتَكَلَّمُ عِنْدَهُ إلا بإذنه؟**

١١٥ – وجاء في **«تهذيب اللغة» (١/ ٢٧٨):** «وروى أَبُو عُمر عَن الْمبرد وثعلبٍ أَنَّهُمَا قَالَا فِي قَول الله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. قَالُوا: **الشَّفَاعَة: الدُّعاء هَاهُنَا. والشفاعة: كَلَام الشَّفيع للملِكِ فِي حاجةٍ يسْألَهَا لغيره»**

فالشفاعة هي الدعاء فلا أحد يدعو إلا بإذنه والشفاعة كلام الشفيع في حاجة يسألها لغيره فلا يتكلم أحد بالسؤال لغيره في حاجة إلا بإذنه.

وقال الله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة يونس:٣].

١١٦ – روى ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق: شَرِيكٌ عَنْ سَالِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ مَنْ يَتَكَلَّمُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ.

فالذي يطلب من الميت الدعاء له فقد جعل الميت نفسه يكلم الله سائلا له الدعاء في قضاء حاجته وهذا بعينه شرك المشركين الذي اتخذوا الأموات والموات وسائط تكلم الله لهم بحاجاتهم ومطالبهم.

وكما تقدم معنا أن الميت لا قدرة له علىٰ جنس الفعل كالكلام ونحوه ولا يكون كلامه إلا بعد أن يأذن الله له بالكلام لا أنه يبدأ من نفسه بالكلام بلا إذن.

تاسعا: هل الميت يملك بنفسه القدرة علىٰ الدعاء للحي إذا طلب منه؟

فالذي يملك شيئا يقدر علىٰ التصرف فيه متىٰ شاء والميت لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل أصلا فهو لا يملك لنفسه ولا لغيره خيرا أو شرا.

أما الحي فهو يملك القدرة السابقة علىٰ فعل الدعاء لمن طلبه.

فمن قال لميت [يا فلان ادع الله لي] **فقد سأل ممن لا يملك له القدرة علىٰ فعل الدعاء.**

وهذا ما بعينه ما فعله أهل الجاهلية وكفرهم الله تعالىٰ به.

عاشرا: شخص حي سأل حيا حاضرا أن يدعو له بقضاء حاجة كما حصل من عمر رضي الله عنه حين طلب من العباس رضي الله عنه أن يدعو لهم فدعا فحصل بفضل الله المراد وهو نزول المطر فيقال **هذا الطلب من عمر للعباس** رضي الله عنهما **سبب كوني وشرعي في حصول المطلوب.**

بالمقابل شخص حي سأل ميتا أن يدعو الله له بقضاء حاجة فهذا الدعاء ليس سببا كونيا ولا شرعيا في حصول المطلوب.

فمن هنا يقال أن الذي يسأل سببا لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل بمعنىٰ عاجز عن فعل الكلام والملك والحركة ثم هذا السبب أيضا لم ينصبه الله كونا ولا أمر به شرعا في قضاء الحوائج **فقد وافق دين المشركين الأولين الذين اتخذوا وسائل وأسباب لم ينصبها الله كونا ولا أمر بها شرعا في قضاء حوائجهم.**

فأسباب الموحدين حال سؤالهم وطلبهم عند قضاء حوائجهم نصبها الله كونا وأذن بها شرعا.

أما أسباب المشركين حال سؤالهم وطلبهم عند قضاء حوائجهم لم ينصبها الله كونا ولم يأمر بها شرعا كسؤال الأموات الدعاء لأن الأموات لا قدرة لهم علىٰ الفعل فهم عاجزون والله المستعان.

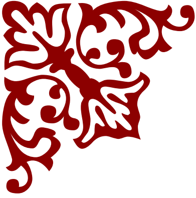
فهذه عشرة وجوه مهمة قف معها وقفة تأمل وهي بإذن الله تبطل لك عموم تشبيهات القبرية وغيرهم حول **مسألة طلب الدعاء من الميت عند قبره**.



جَوَابٌ حَوْلَ

حَقِيقَةِ شِرْكِ الوَسَائِطِ





جواب حول حقيقة شرك الوسائط

فإن مما فارق به دين المسلمين دين المشركين مسألة «**اتخاذ الوسائط والشفعاء**».

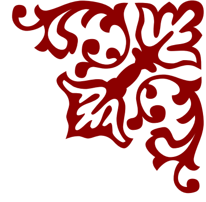
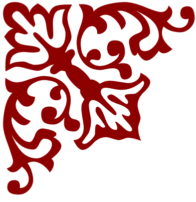
وهذه المسألة ظاهرة مكثورة في النصوص الشرعية بالتفصيل والإحكام لا اشتباه معه لأنها هي أصل المفاصلة والبراءة بين التوحيد والشرك.

وقد كثر في العصور المتأخرة شرك الوسائط وصار له أئمة يدعون إليه ويؤصلون لجوازه بالمتشابهات والإستدلالات الواهيات حتىٰ وقع في شراكهم جماعة من أدعياء السلفية فتأثروا ببعض ما أصلوه في هذا النوع من الشرك لا سيما في «**مسألة طلب الدعاء من الميت عند قبره**» حيث ظنوها مغايرة لشرك الوسائط والشفعاء وبعضهم طرد أصله فجعل هذا النوع من الشرك بعينه بدعة مفسقة أو غير جائز.

بل زاد بعض الكودنية من غلاة الإرجاء التفصيل في السجود لغير الله تعالىٰ باعتبار نية الساجد القلبية.

ولهم سفود خاص بإذن الله عما قريب والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالىٰ.

فالمقصود هو بيان هذا النوع من الشرك وأن مسألة "**طلب الدعاء من الميت**" ما هي إلا صورة مطابقة تماما لهذا الشرك الصراح.

أولا: مفهوم الوسائط

وهي جمع واسطة مؤنث واسط وأصلها في لغة العرب كما **جاء في «المحيط في اللغة» (٢/ ٢٦٩):** «الوَسْطُ -مُخَففٌ-: مَوْضِعٌ للشَّيْءِ. والوَسَطُ من الشيْءِ: أعْدَلُه وأفْضَلُه. **وهو -أيضاً-: اسْمٌ لكُلِّ ما لَهُ طَرَفَانِ**».

وفي «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٣/ ١١٦٧): «والتَوسُّط بين الناس، من الوساطة».

قلت: فالواسط والواسطة هو في المعنىٰ من الشفاعة لأن في الشفاعة توسطا للغير فهي تكون بين طرفين كالواسطة.

فإذا قلنا شرك الواسطة أي شرك بالواسطة فالشرك واقع بها أي بنفس الواسطة فهي المشرك بها.

ووجه الشرك بها أن الله تعالىٰ سمىٰ من يتخذ في التعبد له والمسألة والطلب وسيطا وشفيعا يطلب المتوسط والمتشفع به أن يسأل الله له قضاء حاجته مشركا تاركا للإخلاص والذي حقيقته عبادة الله وسؤاله وحده لا شريك له أي لا مشارك له فيما يستحق من المسألة والطلب.

قال الله تعالىٰ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ [سورة الزمر:٤٣-٤٤].

١١٧ - قال عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تفسيره: نا مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [سورة الزمر: ٤٣] قَالَ: «هِيَ مِنَ الْآلِهَةِ، اتَّخَذْنَاهَا لِتَشْفَعَ لَنَا».

قلت: فمن مقاصد أهل الشرك في اتخاذ هذه الحجارة والأوثان أن تشفع لهم عند الله أي تسأل الله لهم قضاء حوائجهم.

١١٨ - جاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٤/ ١١٤): «﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ أَي: قد اتخذوهم؛ ليشفعوا لَهُم زَعَمُوا ذَلِك لدنياهم ليصلحها لَهُم وَلَا يقرونَ بِالآخِرَة ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد: ﴿أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ يَعْنِي: أوثانهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَي: أَنهم لَا يملكُونَ شَيْئا وَلَا يعْقلُونَ».

فإن قيل إن المشركين عبدوا هذه الأصنام وقالوا تشفع لنا عند الله فهم صرفوا لها العبادة رجاء شفاعتها.

أما اليوم فهم لا يعبدونها وإنما يسألونها الشفاعة فحسب فما بالكم تسوون بينهما؟

قلت: وهذا الإشكال مهم جدا الجواب عنه في نشرة خاصة بإذن الله لضرورته لأنها فيه جوهر الخلاف وفيصل التفرقة بين تقريرات الموحدين وتقريرات المشركين.

لأن حقيقة دين المشركين وما كانوا عليه في الجاهلية قد وقع فيه لبس كثير سببه القبرية من الصوفية والرافضة حتىٰ انطلىٰ علىٰ بعض أدعياء السلفية فصاروا يوافقونهم في كثير من تأصيل قضايا الشرك وصرف العبادة لغير الله والله المستعان.

لكن -علىٰ جهة الإختصار -أجيب فأقول دعوىٰ أن المشرك يعبد الأوثان رجاء

شفاعتها قد دلت الدلائل على صحته منها:

قول الله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس:١٨].

فجمع لهم سبحانه بين العبادة للأوثان رجاء شفاعتها.

١١٩ - قال الطبري في تفسيره: «يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله».

فالمشرك يعبد الوثن بالذبح والنذر والطواف ونحوه يرجو بذلك شفاعتها عند الله وتقربه من الله تعالى.

كما قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣].

١٢٠ - قال مقاتل في تفسيره: «وذلك أن كفار العرب **عبدوا الملائكة وقالوا ما نعبدهم** ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ **يعني منزلة فيشفعوا لنا إلى الله**».

لكن الذي غفل عنه القبريون ومن يجادل عن الشرك أن من جنس العبادات التي صرفها المشركون للأوثان دعاء المسألة الذي لا ينبغي إلا لله وحده.

ودعاء المسألة من أنواع الدعاء التعبدي لله سبحانه.

١٢١ - جاء في «التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه» (ص٣٢٧): «**الدعاء يعني السؤال:** وذلك قوله في سورة البقرة في قول بني إِسرائيل لموسى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سورة البقرة:٦٨] أي سل لنا ربك. وقال في حم الزّخرف: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سورة الزخرف:٤٩]. أي سَلْ لنا ربك، ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الزخرف:٤٩]. وقال في حم المؤمن: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [سورة غافر:٦٠] يعني سلوني أعطكم. وقال فيها أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [سورة غافر:٤٩] يعني سلو ربّكم، ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة غافر:٤٩] ويعني بقوله: سلوا ربُّكم أي اطلبوا إليه. ونحوه كثير». انتهىٰ

قلت: فكان أهل الشرك يسألون أوثانهم وطواغيتهم في أحوال علىٰ جهة الوساطة والتسبب في قضاء حاجتهم فيطلبون منها أن تسأل الله لهم قضاء حاجة لا يقدر عليها إلا الله وحده كإنزال المطر ونحوه.

فهنا صورتان لابد من التركيز معهما في شرك الأولين:

- كانوا يطلبون من الأوثان أنفسهم أن تفعل لهم الحاجة وهذا وقع في الاستعاذة كما في آيات سورة الجن ووقع منهم في الاستنصار والمنعة ونحو ذلك وهذا النوع موجود وشواهده ظاهرة.

ويماثله في مشركي زماننا من يطلب من المقبور أن يرزقه الذرية أو يقول له [اشفني من مرضي] ونحوه فهذا شرك أكبر في الربوبية وشرك في العبادة.

بل من سأل أحدا أي أحد فعلا من أفعال الربوبية التي لا تنبغي إلا لله وحده فهو مشرك سواء كان ذلك المخلوق حيا أو ميتا حاضرا أو غائبا.

- ومما يدخل في الشرك أيضا أن أهل الجاهلية كانوا يسألون أوثانهم لتسأل الله لهم فيطلبون منهم علىٰ جهة السبب والتوسط لا علىٰ جهة الإستقلال والتفرد بالفعل كما في الصورة الأولىٰ.

فهنا الواسطة نفسها عاجزة عجزا مسبقا عن الاستجابة لسائلها علىٰ جهة السبب

والواسطة.

قال الله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة غافر:٤٢-٤٣].

١٢٢ - **جاء في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢٠٨):** قال السدي: «**يعني لا تستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة فكأن معنىٰ الكلام: ليست له استجابة دعوة.**»

- وقال قتادة: «**ليست له دعوة مستجابة**».

١٢٣ - **قال مقاتل في تفسيره:** «فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يعني حقا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من عبادة الآلهة ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ **مستجابة إضمار تنفعكم يقول ليس بشيء** ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾».

١٢٤ - **وقال الطبري في تفسيره:** «يقول: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، **ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا**».

١٢٥ - **وجاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٤/ ١٣٥):** «﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة غافر:٤٣] **أَي: لَا يُجيب من دَعَاهُ فِي الدُّنْيَا**، وَلَا يَنْفَعهُ فِي الْآخِرَة».

فانظر -يرعاك الله- التنصيص المحكم الذي أبطل الله تعالىٰ به اعتقاد أهل الشرك بأن لشفعائهم دعوة أي دعاء عند الله مستجاب ينفعهم فأبطل ظنهم ذلك وأوضح أنه ليس لها دعوة مستجابة بنفسها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولا شك ولا ريب أن من وسائط أهل الجاهلية التي ظنوا أن لها دعاء مستجابا

عند الله الموتىٰ.

وعليه يقال أن الشخص الذي يأتي ميتا ليدعو له هو يظن في نفسه أن الميت يستجيب له طلبه.

ويظن أيضا أن الميت له دعوة مستجابة عند الله لصلاحه وقربه من الله فضلا ومكانة فمن أجل هذه الطنون نصبها واسطة له ووسيلة عند الله تعالىٰ.

فأبطل الله تعالىٰ هذا الظنون كلها وبين أنه لا يدعو ميت لحي حتىٰ يأذن الله تعالىٰ للميت.

وأن الميت لا فعل له ولا قدرة له علىٰ الاستجابة وليس له دعاء يستجيب فيه لغيره من نفسه في الدنيا أو الآخرة لعجزه وعدم قدرته.

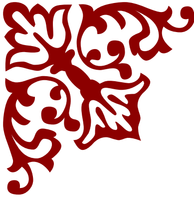
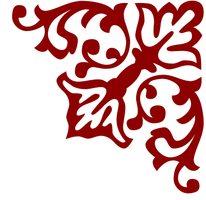
فالمقصود أن من لم يحكم مسائل التوحيد يحسب أن شرك أهل الجاهلية مقصور علىٰ الصورة الأولىٰ أنهم يطلبون منهم الفعل استقلالا ويسألونهم ما اختص الرب سبحانه به وحده فحسب.

ويغفل عن الصورة الثانية وهي أنهم طلبوا منهم تسببا وتشفعا عند الله تعالىٰ أن يجيبوهم لما سألوا.

وهذه الواسطة التي اتخذها أهل الشرك لها صفات مختصة بها.

فليس المراد كل واسطة ولكن واسطة بعينها ورد في القرآن صفاتها وهي فيما يلي.



ثانيا: صفات الواسطة الشركية

❑ أنها من الأموات وليست من الأحياء والميت لا فعل ولا قدرة له باتفاق السلف كما تقدم في الجواب السابق.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [سورة النحل: ٢٠-٢٢].

١٢٦ - جاء في «تفسير الطبري» (١٧/ ١٨٨): «والذين تدعون من دون الله أيها الناس ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.

- كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا».

١٢٧ - وجاء في «نقض الدارمي على المريسي» (ص١٢٦): «فَإِنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الحَيِّ، وَالمَيِّتِ التَّحَرُّكُ، وَمَا لَا يَتَحَرَّكُ فَهُوَ مَيِّتٌ، لَا يُوصَفُ بِحَيَاةٍ، كَمَا وَصَفَ الله تَعَالَىٰ الأَصْنَامَ المَيِّتَةَ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾ [سورة النحل: ٢٠-٢١]، فَاللهُ الحَيُّ القَيُّومُ القَابِضُ البَاسِطُ، يَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، بِخِلَافِ الأَصْنَامِ المَيِّتَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ حَتَّىٰ تُزَالَ».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾ [سورة النساء:١١٦-١١٨].

١٢٨ - **قال الطبري في تفسيره:** حدثني المثنىٰ قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾، يقول: مَيْتًا.

- **حدثنا** بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾، أي: إلا ميتًا لا رُوح فيه.

- **حدثني** المثنىٰ قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾، قال: و"الإناث" كل شيء ميت ليس فيه روح.

١٢٩ - **قال ابن أبي حاتم في تفسيره:** حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَنْبَأَ بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ قَالَ: مَوْتَىٰ.

- **ثنَا** أَبِي، ثنا أَبُو سَلَمَةَ، ثنا مُبَارَكٌ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ قَالَ الْحَسَنُ: الإِنَاثُ: كُلُّ شَيْءٍ مَيِّتٌ لَيْسَ لَهُ رُوحٌ إِمَّا خَشَبَةٌ يَابِسَةٌ وَإِمَّا حَجَرٌ يَابِسٌ

١٣٠ - **جاء في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٠٧):** «﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ يعنىٰ أوثانا يعنىٰ أمواتا: اللات والعزىٰ **وهي الأوثان لا تحرك وَلا تضر وَلا تنفع فهي ميتة** ﴿وَإِن يَدۡعُونَ﴾ يعني وما يعبدون من دونه ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا﴾ يعني إبليس».

فنقول للذي يسأل ميتا الدعاء عند قبره هل هذا الشخص الذي تسأله ميت أم حي؟

فالجواب هو ميت.

فيقال **الميت لا فعل له ولا قدرة له على النفع والضر** والذي يسأل من لا قدرة له على النفع والضر فقد أشرك بالله وكفر

❑ **أنها لا تستجيب بشيء من نفسها لمن سألها وطلب منها.**

قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [سورة الرعد:١٤].

١٣١ - قال الطبري في تفسيره: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج. عن ابن جريج، عن مجاهد يدعوه لأن يأتيه وما هو بآتيه، فكذلك لا يستجيب مَنْ دونه.

- **وقال** حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ وليس ببالغه حتىٰ يتمزَّع عنقه ويهلك عطشًا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ هذا مثل ضربه الله ; **أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتىٰ يأتيه الموت،** كمثل هذا الذي بسط ذارعيه إلىٰ الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتىٰ يموت عطشًا. انتهىٰ

قلت: انظر قول قتادة: «وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه

خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتىٰ يأتيه الموت».

فوصف هذا الذي يدعى بأنه:

- **لا يستجيب بشيء أبدا.**

قلت: ولو كان طلب دعاء لأن المسؤول ميت والميت لا قدرة له علىٰ الفعل لا استقلالا ولا تسببا والاستجابة نوع من أنواع الفعل فهي منتفية تماما عن الميت.

فالموتىٰ لا يستجيبون لأنهم لا قدرة لهم سابقة أصلا فهم بلا حركة.

١٣٢- روى **البخاري في الصحيح:** حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟

فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، **وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ**».

- **لا يسوق إليه خيرا.**

قلت: طلب الدعاء منه نوع من أنواع الخير فلا يسوقه بنفسه لأنه ميت والميت لا فعل له.

- **ولا يدفع عنه سوءًا.**

قلت: لا يدفعه عنه السوء استقلالا أو تسببا، لأن الميت لا فعل له من نفسه لا علىٰ جهة الإستقلال أو علىٰ جهة الأسباب لأن الميت لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل من نفسه كما تقدم في الجواب السابق.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ

فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٤-١٩٥].

فوصف هذا الذي يدعى بصفات:

- **عباد أمثالكم.**

قلت: والموتىٰ عباد أمثالنا كانوا أحياء لهم قدرة سابقة علىٰ الفعل فلما ماتوا فلا فعل لهم لانقطاع عملهم.

١٣٣ - روى **مسلم في الصحيح:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، **إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

١٣٤ - روى **الترمذي في الجامع:** حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ العَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ** إِلاَّ مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فالميت لا عمل له قد انقطع عمله.

- **لا يستجيبون لمن دعاهم.**
- **ليس لهم أرجل يمشون بها في قضاء الحوائج لا علىٰ جهة الإستقلال ولا**

الأسباب.

قلت: وطلب الدعاء من الميت هو طلب لحاجة يريد الحي أن يتسبب الميت في قضائها له من الله تعالىٰ.

➢ **ليس لهم أيدي يبطشون بها ليدفعوا عنكم أو يجلبوا لكم خيرا.**

والميت لا يدفع عن الحي سوءا ولا يجلب له خيرا لا استقلالا ولا أسبابا لأنه لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل والحركة.

➢ **ليس لهم أعين يبصرون بها فيبصر من نفسه علوم الغيب.**

فالميت بنفسه لا يعلم الغيب ولا يراه إلا أن يعلمه الله تعالىٰ ويطلعه.

١٣٥ - **قال أحمد في مسنده:** حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَابْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْنَىٰ، قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: " إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿**كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ** ١٠٤﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤] فَأَوَّلُ الْخَلَائِقِ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ﷺ "، قَالَ: " ثُمَّ يُؤْخَذُ بِقَوْمٍ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ -قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ -فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، قَالَ: فَيُقَالُ لِي: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**، لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ": ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾ [سورة المائدة:١١٧] الْآيَةَ إِلَىٰ: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ١٢٩﴾ [سورة البقرة:١٢٩].

قلت: فهذا النبي ﷺ لا يدري ما حدث بعده من الغيبيات إلا أن يعلمه الله تعالىٰ.

فالميت لا يرىٰ بنفسه فلا قدرة له سابقة علىٰ البصر إلا أن يعلمه الله تعالىٰ ويبصره.

١٣٦ - روى **مسلم في الصحيح**: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**».

١٣٧ - وفي **المسند**: من طريق حُمَيْدٌ الْأَعْرَجُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ، فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ، **فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ**. انتهىٰ

ثم يقال الميت لا قدرة له علىٰ البصر بنفسه حتىٰ يبصره الله تعالىٰ في مواطن غيبية ليست للقياس بل هي التسليم والإنقياد.

١٣٨ - منها **ما رواه أَبُو بَكْرِ بن أبي الدنيا في كتاب المنامات**: ثني مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْآدَمِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَفْوَانَ، نا حُمَيْدٌ الْأَعْرَجُ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ : «إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَمَلَكٌ قَابِضٌ نَفْسَهُ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهُ عِنْدَ غُسْلِهِ، وَعِنْدَ حَمْلِهِ، حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ قَبْرِهِ».

- ثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، نا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ «مَا مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا وَرُوحُهُ بِيَدِ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَهُمْ يُغَسِّلُونَهُ وَيُكَفِّنُونَهُ، وَهُوَ يَرَىٰ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ، فَلَوْ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَىٰ الْكَلَامِ لَنَهَاهُمْ عَنِ الرَّنَّةِ، وَالْعَوِيلِ».

- **ثني** مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعِجْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيَّ، قَالَ: دَخَلَ حَمَّادُ بْنُ مُغِيثٍ عَلَىٰ ابْنِ السَّمَّاكِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَيَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ يَعْنِي الْمَيِّتَ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُنَاشِدُ غَاسِلَهُ بِاللهِ أَلَا خَفَّفْتَ غَسْلِي».

- **ومن** طريق نا عُثْمَانُ بْنُ زُفَرَ، ثني ابْنُ السَّمَّاكِ، أَوْ ثني عَنْهُ غَيْرُهُ قَالَ : " غَسَّلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَبِي، فَلَمَّا غَسَّلَهُ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ الْآنَ يَرَىٰ مَا نَصْنَعُ بِهِ».

- **ثني** أَبُو إِسْحَاقَ، وَمَاتَ ابْنٌ لَهُ، وَكَانَ نَاسِكًا قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: " رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ مَا ظَهَرَ مِنْ جَمِيلِ السَّتْرِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْجِنَازَةِ قَالَ: قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ قَالَ: مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُ شَيْءٌ ".

- **نا** مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، نا الْفَضْلُ بْنُ مُوَفَّقٍ، قَالَ: " كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي كَثِيرًا، قَالَ: شَهِدْتُ جِنَازَةً فَلَمَّا قُبِرَ صَاحِبُهَا تَعَجَّلْتُ لِي حَاجَةً وَلَمْ آتِ قَبْرَ أَبِي فَأُرِيتُهُ فِي النَّوْمِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لِمَ لَمْ تَأْتِنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي؟ قَالَ: إِي وَاللهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مِنْ حِينَ تَطْلُعُ مِنَ الْقَنْطَرَةِ حَتَّىٰ تَقْعُدَ إِلَيَّ وَتَقُومَ مِنْ عِنْدِي، فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مُوَلِّيًا حَتَّىٰ تَجُوزَ الْقَنْطَرَةَ ".

- **وَثني** إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، وَثني ابْنُ أَبِي الْمُتَّئِدِ، قَالَ: قَالَتْ لِي تُمَاضُرُ بِنْتُ سَهْلٍ، امْرَأَةُ أَيُّوبَ بْنِ عُيَيْنَةَ: " جَاءَتْنِي ابْنَةُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَقَالَتْ: أَيْنَ عَمِّي أَيُّوبُ؟ قُلْتُ: فِي الْمَسْجِدِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ فَقَالَتْ: أَيْ عَمِّ إِنَّ أَبِي جَاءَنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ: جَزَىٰ اللهُ أَخِي أَيُّوبَ عَنِّي خَيْرًا فَإِنَّهُ يَزُورُنِي كَثِيرًا، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي الْيَوْمَ فَقَالَ أَيُّوبُ: نَعَمْ حَضَرْتُ جِنَازَةً فَذَهَبْتُ إِلَىٰ قَبْرِهِ ".

١٣٩ - **وروى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب القبور**: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ

حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ نا جُبَيْرٌ الْقَصَّابُ قَالَ: " كُنْتُ أَغْدُو إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فِي كُلِّ غَدَاةِ سَبْتٍ حَتَّىٰ نَأْتِيَ الْجَبَّانَ فَنَقِفَ عَلَىٰ الْقُبُورِ فَنُسَلِّمَ وَنَدْعُوَ لَهُم ثُمَّ نَنْصَرِفُ فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَوْ صِرْتُ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ. فَقَالَ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَوْتَىٰ يَعْلَمُونَ بِزُوَّارِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمًا قَبْلَهُ وَيَوْمًا بَعْدَهُ ".

قلت: فعلم الموتىٰ بزوارهم وغاسلهم هو بإعلام الله لهم فليس لهم قدرة سابقة علىٰ البصر ولا العلم بما حولهم.

١٤٠ – وقد روىٰ **أبو نعيم في الحلية:** حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: " مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَرُوحُهُ فِي يَدِ مَلَكٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ جَسَدِهِ كَيْفَ يُغَسَّلُ وَكَيْفَ يُكَفَّنُ، وَكَيْفَ يُمْشَىٰ بِهِ فَيَجْلِسُ فِي قَبْرِهِ. قَالَ دَاوُدُ: وَزَادَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: **يُقَالُ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ سَرِيرِهِ: اسْمَعْ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْكَ** ".

➢ **ليس لهم آذان يسمعون بها فلا يستطيعوا السماع إلا أن يسمعهم الله ذلك بأن يرد إليهم أرواحهم.**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر:٢٢].

١٤١ – روى **الطبري في تفسيره:** حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

١٤٢ – قال **مقاتل في تفسيره:** «شبه الكافر من الأحياء حين دعوا إلىٰ الإيمان فلم

يسمعوا، **بالأموات أهل القبور الذين لا يسمعون الدعاء».**

قلت: وهذا تنصيص مهم أن الميت لا يسمع الدعاء بعينه لأنه لا دليل عليه بخلاف الدعاء له كالسلام وغيره فهو يسمعه إذا شاء الله أن يسمعه بأن يرد إليه روحه.

١٤٣ - جاء في «تفسير يحيىٰ بن سلام» (٢/ ٧٨٥): «﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، أَيْ: وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ الْكُفَّارَ، **هُمْ بِمَنْزِلَةِ الأَمْوَاتِ لا يَسْمَعُونَ مِنْكَ الْهُدَىٰ سَمْعَ قَبُولٍ، كَمَا أَنَّ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ لا يَسْمَعُونَ».**

١٤٤ - وجاء في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢٢٩): «**سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَنَّ الْمَوْتَىٰ فِي قُبُورِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَيْهِ الْأَحْيَاءُ إِلَّا إِذَا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمُ الْأَرْوَاحَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]».

فالميت لا يسلم إلا إذا رد الله له روحه فيسمعه السلام.

١٤٥ - روى أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ ﷻ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عليه السلام**".

١٤٦ - روى ابن أبي شيبة في المصنف: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ **يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**».

وهذا الذي يفهم وجه رد الميت السلام أنه بتبليغ الله له فيرد له روحه ليرد السلام.

١٤٧ - روى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب القبور: نا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ الْجَوْهَرِيُّ نا

مَعْنُ بْنُ عِيسَىٰ الْقَزَّازُ أنا هِشَامُ بْنُ سَعْدِ نا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عليه السلام وَعَرَفَهُ وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عليه السلام".

- نا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ جَرِيرٍ قَالَ: " **إِذَا دَعَا الْعَبْدُ لِأَخِيهِ الْمَيِّتَ أَتَىٰ بِهَا الْمَلِكُ قَبْرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ، هَدِيَّةٌ مِنْ أَخٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ** ".

قلت: والسلام علىٰ الميت هو من جنس الدعاء له فكل دعوة من الحي للميت فلا يسمعها بنفسه لعدم قدرته واستطاعته الإجابة والاستجابة لأنه لا فعل له ولكن الله تعالىٰ يسمعه إذا شاء كما شاء.

١٤٨ - **ولذلك** لما قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: " **مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا** ".

فبين النبي ﷺ أن الإستطاعة وهي القدرة في حق الميت منتفية.

❑ من صفات الواسطة الشركية أنها غائبة غافلة لا حضور لها، وليس لها شهود حقيقي أو حكمي.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝٢٩﴾ [سورة يونس:٢٨-٢٩].

١٤٩ - وروى ابن أبي حاتم في تفسيره: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عِيسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ فَتَقُولُ لَهُمُ الآلِهَةُ: **وَاللهِ مَا كُنَّا نَسْمَعُ وَلا نُبْصِرُ وَلا نَعْقِلُ وَلا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَنَا.**

١٥٠ - روى الطبري في تفسيره: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، قال: فرّقنا بينهم = ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ قالوا: بلىٰ، قد كنا نعبدكم فقالوا: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، **ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم!** فقال الله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [سورة يونس:٣٠]، الآية.

قلت: والميت لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يعقل من نفسه إلا بأمر الله ومشيئته لأن هذه المذكورات أفعال والميت لا قدرة له علىٰ الفعل ولا الحركة إلا بإذن الله، وكل هذا غيب لا نبحث عنه ولا نقايسه بحال الأحياء فانتبه.

١٥١ - قال مقاتل في تفسيره: «ثم أخبر عن الآلهة اللات والعزىٰ ومناة، فقال:-

سبحانه ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ [سورة فاطر:١٤]. دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ **يقول لو أن الأصنام سمعوا ما استجابوا لكم** ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ يقول إن الأصنام يوم القيامة يتبرءون من عبادتكم إياها فتقول للكفار ما أمرناكم بعبادتنا، نظيرها في يونس ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾».

قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦].

١٥٢ - قال الطبري في تفسيره: «وقوله: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: **وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنىٰ بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه**».

قلت: والميت في غفلة عما يطلبه منه الحي بأن يدعو له في قبره لأنه لا يسمع ولا يعقل ولا ينطق ولا يفهم ولا فعل له مطلقا إلا بأمر الله إذا شاء وهذا غيب لا يعلمه إلا الله.

أما الحي فالذي يعلمه من حال الميت ما تقدم أنه لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل.

لذلك أُمرَ الحي بأن يدعو للميت بالمغفرة والرحمة وأن يشفع فيه.

فعكس القبريون أمر الله وبدلوه فصار الحي في دينهم هو يسأل الميت أن يدعو الله له بالمغفرة والرحمة ويشفع فيه وهذا حقيقة شرك الوساطة والشفاعة.

١٥٣ - روى **أحمد في مسنده:** حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ يَعْنِي الْأَحْوَلَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ، فَذَكَرَ مِنْ هَوْلِهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ . وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ. فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا. إِنَّهُ مَعَكُمْ.**

قلت: فبين أن صفات من لا يستحق الدعاء والمسألة الأصم الذي لا سمع له والغائب الذي لا حضور ولا علم له.

والميت لا يسمع إلا بأمر ولا يستجيب بنفسه لسائله بشيء.

وكذلك الميت غائب غير حاضر عند سائله ولا يعلم بشيء حتىٰ يعلمه الله سبحانه.

وهذا كله غيب لا يعلمه إلا الله الواجب فيه التسليم لا المقايسة بالرأي.

فالمقصود أن من دعا من لا قدرة له بنفسه علىٰ السماع وهو غائب عنه حقيقة أي بنفسه وحكما فهو مشرك.

وأما من دعا من غاب عنه بذاته لكنه في حكم الحاضر لما بينهما من الأسباب الظاهرة كوصول الصوت لبعده أو ثمة من يبلغه إياه فليس بمشرك.

فإن قيل ولعل الميت ثمة من يبلغه صوت من يطلب منه الدعاء؟

فالجواب: الميت يبلغ الدعاء له كالسلام ونحوه بإذن الله وقد يسمعه الله إياه عند قبره.

أما طلب الدعاء منه فلم يرد نص بأنه يسمعه ولا من يبلغه أبدا وإنما الوارد أن الله تعالىٰ إذا شاء أمره بالدعاء حين تعرض عليه أعمال الأحياء هذا **أولا**.

ثانيا: لا يصح بحال قياس أحكام الموت في مسألة الحضور وغيرها علىٰ أحكام الحياة.

وذلك أننا نجزم أن الميت فارق الدنيا فهو غائب عنها حقيقة وحكما وصار إلىٰ دار أخرىٰ بخلاف الحي الغائب الذي معك في نفس الدار وفارقك بجسده وأمكن في الأسباب القدرية الظاهرة بلوغ الصوت له فانتبه.

١٥٤ - روى أحمد في الفضائل: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ قال ثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قال ثنا زُهَيْرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ، عَنْ عَمْرٍو الْأَصَمِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الشِّيعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: كَذَبُوا وَاللهِ، مَا هَؤُلَاءِ بِالشِّيعَةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، مَا زَوَّجْنَا نِسَاءَهُ، وَلَا قَسَمْنَا مَالَهُ.

قلت: وهذا فقه عظيم وجواب قويم من الحسن بن علي رضي الله عنهما لأن من سيرجع للدنيا بعد غيبته لا يجوز قسم ميراثه ولا تزويج نسائه في الجملة.

أما من فارق دار الدنيا إلىٰ دار الآخرة فهذا غاب عن دنيانا وانقطع خبره وعمله وصار إلىٰ دار أخرىٰ فهوغائب غيابا حقيقيا وحكميا باعتبار أحكام الدنيا فانتبه.

فهنا صور خمسة مهمة جدا يقع الخلط بينها ومقايسة حال الميت علىٰ حال الحي مطلقا في الطرح القبري ومن تأثر به:

١-حي طلب من حي حاضر الدعاء له فهذا جائز.

٢-حي طلب من حي غاب عنه بجسده ولكن يسمع صوته لقربه منه أو هناك أسباب ظاهرة قدرية يبلغه بها كلامه بأن يدعو له فهذا جائز لأن هذا الحي له حكم الحاضر.

٣-حي سلَّمَ علىٰ ميت فهذا دعاء له كالإستغفار ونحوه وهذا شفاعة حسنة جائزة.

١٥٥ - قال **الطبراني في الدعاء:** حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقِ بْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَيْسَانَ الصَّنْعَانِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَىٰ صَنْعَاءَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [سورة النساء:٨٥] **قَالَ: «الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ»**.

٤-حي جاء عند قبر ميت فسأل الله تعالىٰ وحده وقد يتوسل بذكر اسم الميت في دعائه هذا الفعل لم يرد فيه شيء ثابت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم **فهو من جنس البدع المنكرة في العبادات ووسائل الشرك بالمقبور.**

٥-حي طلب من ميت أن يشفع له ويدعو له عند الله تعالىٰ هذا هو شرك الوسائط والشفاعة.

فمن عرف هذه الخمس سيفهم سياقات الأدلة والآثار الواردة في الباب فلا يستدل بشيء ورد في السلام علىٰ الميت وهو من جنس الدعاء له علىٰ صورة طلب الدعاء منه أو دعاء الله وحده عند قبره وهكذا من الخلط الذي يمارسه القبريون وأزواجهم من الجراجسة الجدد.

وهذا مثال يجلي لك كيف يخلط القبريون وأزواجهم الصور السابقة بمقايسة بعضها علىٰ ما لا ينقاس.

١٥٦ - روى **الخطيب في تاريخ بغداد:** أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن رزق، قَالَ: أَخْبَرَنَا عثمان بْن أَحْمَد الدقاق، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن البراء، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن الْحُسَيْن، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْر بْن عياش لَمَّا كبر يأخذ إفطاره ثُمَّ يغمسه بالماء فِي جر كَانَ لَهُ فِي بيت مُظلم، ثُمَّ يَقُولُ: يا ملائكتي، طالت صُحبتي لكما، **فإن كَانَ لكما عِنْدَ الله شفاعة، فاشفعا لي.**

قلت: هذا الخبر من جنس طلب الدعاء من الحي الحاضر وهذا لا بأس به فالكرام الكاتبين لا يفارقون العبد وهم معه في حكم الحاضر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١٢].

فهم حفظة كتبة عندهم علم بك يسمعونك ويرونك.

والإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله سأل الشفاعة مقيدة وهي بمعنىٰ طلب الدعاء من الحي الحاضر.

١٥٧ - وقد روىٰ **أبو نعيم في الحلية:** حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا عُمَرُ بْنُ بَحْرٍ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْجُنَيْدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ: **سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ، يَقُولُ وَهُوَ يَدْعُو: «يَا ملكِي ادْعُوا اللهَ لِي فَإِنَّكُمَا أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنِّي».**

قلت: وهذا فيه حجة علىٰ الجراجسة الجدد حيث **سمي طلب الدعاء شفاعة**

وفسرت الشفاعة بطلب الدعاء.

لأن هناك بقية منهم تكفر بطلب الشفاعة ولا تكفر بطلب الدعاء بينما هما حقيقة واحدة لا فرق.

فالمقصود أن الأثر لا حجة فيه للقبري ولا لزوجه المجادل عن الشرك لأنه من جنس طلب الدعاء من الحي الحاضر وهذا جائز.

فلا يقيس طلب الدعاء من الميت الغائب الذي لا فعل له علىٰ طلب الدعاء من حي حاضر له فعل إلا من هو أضل من حمار أهله والله المستعان.



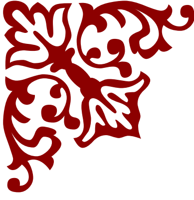
التَّمْهِيد

«قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» (ص١٢١):

«ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتىٰ، والغائبين، والملائكة، دعاء، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فإن المشركين إنما اتخذوهم شفعاء».



اللباب المختصر حول سؤال الميت الدعاء عند القبر



فهذه أصول محكمة جامعة وأسس مبرمة مانعة في نقض ضلالات القبرية ومن نهج سبيلهم حول مسألة «**طلب الدعاء من الموتىٰ**».

فأقول وبالله التوفيق وحده لا شريك له:

في البداية لا بد للعاقل من ضبط أصلين محكمين هما عقدة الباب وأسه الذي يبنىٰ عليه.

الأصل الأول: اعلم -سلمك الله- أن الشفاعة في اللغة ودلالة النصوص وعرف السلف الصالح في الخطاب هي **الدعاء والطلب**.

أما في اللغة:

١٥٨ - جاء في «العين» (١/ ٢٦١): «والشَّافعُ: الطالب لغيره: وتقول استشفعت بفلان فتشفع لي إليه فشَفَّعَهُ فيّ. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشَّفيع».

١٥٩ - وجاء في «تفسير الطبري» (١/ ٣١): «و"الشفاعة" مصدر من قول الرجل: "شفع لي فلان إلىٰ فلان شفاعة (٤) وهو طلبه إليه في قضاء حاجته. وإنما قيل للشفيع"شفيع وشافع" لأنه ثنىٰ المستشفع به، فصار به شفعا (١) فكان ذو الحاجة -قبل استشفاعه به في حاجته-فردا، فصار صاحبه له فيها شافعا، وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة.

١٦٠ - وجاء في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٧٨): «وروىٰ أَبُو عُمر عَن الْمبرد وثعلبٍ أَنَّهُمَا قَالَا فِي قَول الله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥] قَالُوا: الشَّفَاعَة: الدُّعاء هَاهُنَا. والشفاعة: كَلَام الشَّفيع للملِكِ فِي حاجةٍ يسْأَلهَا لغيره».

١٦١ - وجاء في «لسان العرب» (٨/ ١٨٤): «وشَفَعَ إِليه: فِي مَعْنَىٰ طَلَبَ إِليه. والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلىٰ الْمَطْلُوبِ. يُقَالُ: تَشَفَّعْتُ بِفُلَانٍ إِلىٰ فُلَانٍ فَشَفّعَني فِيهِ، وَاسْمُ الطَّالِبِ شَفِيعٌ؛ قَالَ الأَعشىٰ:

واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَراةِ الحَيِّ ذَا ثِقةٍ، ... فَقَدْ عَصاها أَبُوها وَالَّذِي شَفَعا

واسْتَشْفَعْتُه إِلىٰ فُلَانٍ أَي سأَلته أَن يَشْفعَ لِي إِليه؛ وتَشَفَّعْتُ إِليه فِي فُلَانٍ فشَفَّعَني فِيهِ تَشْفِيعـًا؛ قَالَ حَاتِمٌ يُخَاطِبُ النُّعْمَانَ:

فَكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّها مِنْ إِسارِها، ... فَأَفْضِلْ وشَفِّعْني بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرِ

وَفِي حَدِيثِ الحُدُود:

إِذا بَلَغَ الحَدُّ السلطانَ فَلَعَنَ اللهُ الشَّافِعَ والمُشَفِّعَ.

وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الشَّفاعةِ فِي الْحَدِيثِ فِيمَا يتعَلَّق بأُمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ السُّؤالُ فِي التَّجاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ والجَرائِمِ. والمُشَفِّعُ: الَّذِي يَقْبَل الشَّفَاعَةَ، والمُشَفَّعُ: الَّذِي تُقْبَلُ شَفاعَته».

وأما في دلالة النصوص وعرف السلف في الخطاب فكثيرة منها:

١٦٢ - قال أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدًا، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، رَضِيعِ عَائِشَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: " مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، **كُلُّهُمْ**

يَشْفَعُ لَهُ، إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ ".

قلت: يشفع له أي يدعو له.

١٦٣ - ويدل **عليه ما روىٰ ابن أبي شيبة في المصنف قَالَ**: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ يُونُسَ، قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمَيِّتِ فَقَالَ مُجَاهِدٌ: " إِنَّا نَحْنُ فِيهِ فَنَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَهُ، وَأَنْتَ هَدَيْتَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسَرِيرَتِهِ وَعَلَانِيَتِهِ **جِئْنَا شُفَعَاءَ فَاشْفَعْ لَهُ**، فَاغْفِرْ لَهُ ".

١٦٤ - وروى **الطبري في التهذيب**: قال حَدثنَا أَبُو كريب، قَالَ: حَدثنَا حسن بن عَطِيَّة، قَالَ: حَدثنَا أَبُو معشر، عَن مُحَمَّد بن كَعْب الْقرظِيّ، قَالَ: " كَانَ عَليّ -رَحْمَة الله عَلَيْهِ -يَقُول فِي الْجِنَازَة: إِنَّمَا **دعيتم لتشفعوا لَهُ، فاجتهدوا فِي الدُّعَاء** ".

- وَحدثنَا ابْن حميد، قَالَ: حَدثنَا الصَّباح بن محَارب، قَالَ: حَدثنَا مُوسَىٰ الْجُهَنِيّ، قَالَ: سَأَلت مُجَاهدًا وَعَطَاء وَالشعْبِيّ وَالْحكم: " هَل فِي الْجِنَازَة شَيْء مُؤَقّت؟ قَالُوا: **لَا نعلم فِيهِ شَيْئا مؤقتا، وَلَكِنَّك شَفِيع، فاشفع لَهُ بِأَحْسَن مَا تعلم** ".

١٦٥ - وجاء **في «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» (ص٩٣)**: «وقوله في الدعاء للميت: "وقد جئناك راغبين اليك شفعاء له" أصل الشفع الزيادة.

قال الله ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [سورة النساء:٨٥] أي يزيد عملا إلىٰ عمل وعين شافعة تنظر نظرين **فكأن المصلين علىٰ الميت إذا دعوا له طلبوا أن يزاد بدعائهم** رحمة إلىٰ ما استوجب منهم بعمله أو بتوحيده».

١٦٦ - روى **أحمد في مسنده**: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ مُجْمِرٍ، عَنْ رَبِيعَةَ

بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " سَلْنِي أُعْطِكَ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْظِرْنِي أَنْظُرْ فِي أَمْرِي، قَالَ: " فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ "، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ فَلَا أَرَىٰ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ شَيْءٍ آخُذُهُ لِنَفْسِي لِآخِرَتِي، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " مَا حَاجَتُكَ؟ "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، **اشْفَعْ لِي إِلَىٰ رَبِّكَ** ﷻ، **فَلْيُعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ**، فَقَالَ: " مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ "، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ لِآخِرَتِي، قَالَ: " فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ".

- وفي رواية فَقُلْتُ: **نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَىٰ رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ**.

١٦٧ - روى **ابن المبارك في كتاب الجهاد**: عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: «كَانُوا فِي غَزْوَةٍ عَلَيْهِمْ يَحْيَىٰ، فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أَحْسَنَ حُمْرَةَ الدَّمِ عَلَىٰ الْبَيَاضِ، فَسَمِعَ أَبُوهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَنْزِلَنَّ. قَالَ: فَنَزَلَ، ثُمَّ اعْتَزَلَ عَنِ الصَّفِّ، **فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَدْعُو**، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ، هَذَا عَمْرٌو، **يُسْتَشْفَعُ عَلَيَّ بِرَبِّهِ**، ارْكَبْ يَا بَنِي إِنْ شِئْتَ. فَرَكِبَ، فَاسْتُشْهِدَ. قَالَ: فَجِيءَ بِقَاتِلِهِ، فَقَالَ عُتْبَةُ لِرَجُلٍ قَالَ السَّرِيُّ: أَرَاهُ مَسْرُوقًا: قُمْ، فَاقْتُلْ قَاتِلَ أَخِيكَ. فَقَتَلَهُ».

١٦٨ - روى **ابن أبي شيبة في المصنف**: عن عَبْدِ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ طُعْمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَىٰ، قَالَ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ عَبَدَ اللهَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْبَرِّ، ثُمَّ قَالَ: " يَا رَبِّ، قَدْ اشْتَقْت أَنْ أَعْبُدَكَ فِي الْبَحْرِ، فَأَتَىٰ قَوْمٌ فَاسْتَحْمَلَهُمْ فَحَمَلُوهُ، وَجَرَتْ بِهِمْ سَفِينَتُهُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَجْرِيَ، ثُمَّ قَامَتْ فَإِذَا شَجَرَةٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَاءِ،

قَالَ: فقَالَ: ضَعُونِي عَلَىٰ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَقَالُوا، مَا يُعَيِّشُك عَلَىٰ هَذِهِ؟ قَالَ: إنَّمَا اسْتَحْمَلْتُكُمْ فَضَعُونِي حَيْثُ أُرِيدُ، فَوَضَعُوهُ وَجَرَتْ بِهِمْ سَفِينَتُهُمْ، فَأَرَادَ مَلَكٌ أَنْ يَعْرُجَ إلَىٰ السَّمَاءِ فتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِ الَّذِي كَانَ يَعْرُجُ بِهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لِخَطِيئَةٍ كَانَتْ مِنْهُ، **فَأَتَىٰ صَاحِبَ الشَّجَرَةِ فَسَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إلَىٰ رَبِّهِ، قَالَ: فَصَلَّىٰ وَدَعَا لِلْمَلَكِ**، قَالَ وَطَلَبَ إلَىٰ رَبِّهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ يَقْبِضُ نَفْسَهُ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَأَتَاهُ حِينَ حَضَرَ أَجَلُهُ فَقَالَ: إنِّي طَلَبْت إلَىٰ رَبِّي أَنْ يُشَفِّعَنِي فِيك كَمَا شَفَّعَك فِي، وَأَنْ أَكُونَ أَنَا أَقْبِضُ نَفْسَك، فَمِنْ حَيْثُ شِئْت قَبَضْتهَا قَالَ: فَسَجَدَ سَجْدَةً فَخَرَجَتْ دَمْعَةٌ مِنْ عَيْنِهِ فَمَاتَ ".

قلت: والأخبار كثيرة في الباب قد ذكرت طرفا منها في الجواب الأول والله المستعان.

إذا تبين لك أن حقيقة الشفاعة هي الدعاء والطلب لغة وشرعا فاعلم – وفقك الله – أن من سأل الموتىٰ الشفاعة بقوله "اشفع لي عند الله " فتفسيرها "ادع لي عند الله " مطابقة في اللغة ودلالة النص والأثر.

ومن فرق فعليه الدليل لأنه خالف لسان العرب ولغة الشرع في معهود الخطاب ولا دليل يوجب التفريق في الباب فانتبه.

الأصل الثاني: حقيقة شرك المشركين في الشفاعة والدعاء هو أنهم كانوا يقرون لله تعالىٰ بأفعال الربوبية في الجملة **ثم يزعمون أن أوثانهم.**

○ **أولا: تشفع لهم عند الله.**

١٦٩ – روى **الطبري في تفسيره:** حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج،

عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنىٰ يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [سورة النجم:١-٢] فقرأها رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠] ألقىٰ عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلىٰ، وإن شفاعتهنّ لترجىٰ، فتكلم بها. ثم مضىٰ فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلىٰ جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر علىٰ السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: **قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك.**

○ **ثانيا: تدعو لهم عند الله وهذا حقيقة الإستشفاع بهم.**

قال الله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤﴾ [سورة غافر:٤٣-٤٤].

١٧٠ - **قال السدي:** يعني لا تستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة فكأن معنىٰ الكلام: ليست له استجابة دعوة.

١٧١ - **وقال قتادة:** ليست له دعوة مستجابة.

١٧٢ - **قال مقاتل في تفسيره:** ﴿لَا جَرَمَ﴾ يعني حقا ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ من عبادة الآلهة ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ مستجابة إضمار تنفعكم يقول ليس بشيء ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

١٧٣- وقال **الطبري في تفسيره**: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، **ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا.**

١٧٤- وجاء **في زاد المسير**: «**قوله تعالىٰ**: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: ليس له استجابة دعوة، قاله السدي.

والثاني: ليس له شفاعة، قاله ابن السائب».

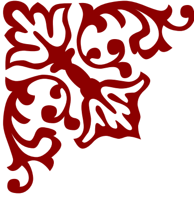
فالمقصود أن المشرك كان يسأل الوثن الشفاعة ويسأله أيضا الدعاء علىٰ حد سواء.

وهذا منصوص ابن تيمية يبين أن المشركين كانوا يسألون الموتىٰ الشفاعة ويسألونهم الدعاء فقال كما في قاعدته (ص١٣٥): [والمقصود هنا التنبيه علىٰ أن الشرك أنواع: فنوع منه يتخذونهم شفعاء **يطلبون منهم الشفاعة والدعاء من الموتىٰ والغائبين**، ومن تماثيلهم....

ثم قال [**وهذه الأنواع الثلاثة كانت في مشركي العرب وغيرهم**، ممن يقر بأن الله خالق السموات والأرض، وأنهما محدثتان، ليستا قديمتين].

فإذا تقرر معك ما سبق وفهمته -يا طالب الهدىٰ -وأحكمته فاعلم أن للقبرية وأزواجهم الجراجسة شبهات كسراب بقيعة يحسبها الظمآن ماء حتىٰ نقدتها ووزنتها بميزان العلم لم تجدها شيئا فهي عارية عن ضبط الدليل رواية ودراية بل هي محض مقايسة فاسدة وتحكم بالرأي المجرد والله الهادي سواء السبيل.



فصل في: بيان نقض ما استندوا من متشابه الأخبار

لا يخلو استدلال شخص ضال عن الطريق المستقيم وزائغ عن المحكم القويم من إحدىٰ وجهتين:

-إما أن يتجه ليقايس ما لا ينقاس من الأصول بعضها علىٰ بعض

-وإما أن يجمل الكلام في مقام التفصيل أو يفصل الكلام في مقام الإجمال

١٧٥ - وقد **قال أحمد** - رحمه الله - **في رواية الميموني:** "يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين: المجْمَل، والقياس".

[وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَد يَحْذَرُ الْمُتَكَلِّمُ فِي الْفِقْهِ هَذَيْنِ " الْأَصْلَيْنِ ": الْمُجْمَلُ وَالْقِيَاسُ.

وَقَالَ: أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْوِيلِ وَالْقِيَاسِ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَلَّا يَحْكُمَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَامُّ وَالْمُطْلَقُ قَبْلَ النَّظَرِ فِيمَا يَخُصُّهُ وَيُقَيِّدُهُ وَلَا يَعْمَلَ بِالْقِيَاسِ قَبْلَ النَّظَرِ فِي دَلَالَةِ النُّصُوصِ هَلْ تَدْفَعُهُ فَإِنَّ أَكْثَرَ خَطَأِ النَّاسِ تَمَسُّكُهُمْ بِمَا يَظُنُّونَهُ مِنْ دَلَالَةِ اللَّفْظِ وَالْقِيَاسِ.... **وَلِهَذَا جعلَ أي الإمام أحمد الِاحْتِجَاجَ بِالظَّوَاهِرِ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْ تَفْسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ طَرِيقَ أَهْلِ الْبِدَعِ.** وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ كَبِيرٌ.

وَكَذَلِكَ التَّمَسُّكُ بِالْأَقْيِسَةِ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ طَرِيقُ أَهْلِ

الْبِدَعِ]. انتهىٰ مستفاد بتصرف

قلت: وهو حال أدلة المجوزين أو المانعين بالتخفيف لشرك سؤال الميت الدعاء وقد نقاش بعضها فمنها:

أولا: خبر مالك الدار وقد سبق في جواب مستقل.

ثانيا: الأخبار الواردة في سماع الموتىٰ وقد سبق في جواب مستقل.

ثالثا: قصة أبي بكر بن عياش وقد سبق في جواب مستقل.

رابعا: ما ورد في تلقين الميت بعد دفنه.

١٧٦ - روى **الطبراني في المعجم الكبير**: حَدَّثَنَا أَبُو عَقِيلٍ أَنَسُ بْنُ سَلْمٍ الْخَوْلَانِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَلَاءِ الْحِمْصِيُّ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا أُمَامَةَ وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ، فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا، أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، فَسَوَّيْتُم التُّرَابَ عَلَىٰ قَبْرِهِ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ اللهُ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ. فَلْيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فَيَكُونُ اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ؟ قَالَ: «فَيَنْسُبُهُ إِلَىٰ

حَوَّاءَ، يَا فُلَانَ بْنَ حَوَّاءَ».

قلت: وهذا الحديث شبه الموضوع ففيه.

-محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي

١٧٧ - **جاء في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٧/ ٥٤٧): قال ابن عوف عنه:** مُحَمد بْن إبراهيم كَانَ يسرق الأحاديث.

١٧٨ - **وفي «سؤالات البرقاني» (٤٢٣): قال الدارقطني:** كذابٌ.

١٧٩ - **وفي «المجروحين لابن حبان ت حمدي» (٢/ ٣١٨):** محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله شيخ كان يدور بالعراق، وتجاوز عبادان، يضع الحديث على الشاميين، حدثنا عنه أبو يعلىٰ والحسن بن سفيان وغيرهما، لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار.

-ورواية إسماعيل بن عياش في غير الشاميين مضطربة ضعيفة

١٨٠ - **جاء في «الضعفاء الكبير للعقيلي» (١/ ٨٨):** «إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ الْحِمْصِيُّ أَبُو عُتْبَةَ إِذَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ أَهْلِ الشَّامِ اضْطَرَبَ، وَأَخْطَأَ».

-وشيخ الطبراني مجهول جهالة حال نسبية وأيضا سعيد بن عبد الله الأودي مجهول لم يوثقه معتبر.

١٨١ - **وفي «البدر المنير» (٥/ ٣٣٥):** قَالَ أَبُو نعيم الْحداد: هَذَا حَدِيث غَرِيب من حَدِيث حَمَّاد بن زيد، مَا كتبته إِلَّا من حَدِيث سعيد (الْأَزْدِيّ)، وَقَالَ ابْن أبي حَاتِم: سعيد (الْأَزْدِيّ) عَن أبي أُمَامَة الْبَاهِلِيّ رَوَىٰ عَنهُ ... سَمِعت أبي يَقُول ذَلِك.

قَالَ الْمُنْذِرِيّ: هَكَذَا قَالَ: (الْأَزْدِيّ) وَوَقع فِي روايتنا «الأودي»، وَهُوَ مَعْنَىٰ الْمَجْهُول، وَقَالَ الذَّهَبِيّ فِي «الْمُغنِي فِي الضُّعَفَاء»: سعيد (الْأَزْدِيّ) لم أر لَهُ ذكر فِي الضُّعَفَاء وَلَا غيرهم.

١٨٢ - ورواه **الخلعي في الفوائد:** أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعَسْقَلانِيُّ، قَالَ: أَخبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَنْدَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبَانِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُتْبَةُ بْنُ السَّكَنِ، عَنْ أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ سَعِيدٍ الأَزْدِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِذَا أَنَا مِتُّ فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا فَإِنَّهُ قَالَ: إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَدَفَنْتُمُوهُ فَلْيُقِمْ أَحَدُكُمْ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَلْيَقُلْ: يَا فُلانُ بْنَ فُلانَةَ فَإِنَّهُ سَيَسْمَعُ، فَلْيَقُلْ: يَا فُلانُ بْنَ فُلانَةَ، فَإِنَّهُ سَيَسْتَوِي قَاعِدًا، فَلْيَقُلْ: يَا فُلانُ بْنَ فُلانَةَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَرْشِدْنِي رَحِمَكَ اللهُ.

فَيَقُولُ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا؛ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: مَا نَصْنَعُ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ فَيَكُونُ اللهُ حَجِيجَهُمَا دُونَهُ".

قلت: وهو حديث لا يصح ومعلوم أن الفوائد في عرف المحدثين هي مأوىٰ الغرائب والمنكرات.

١٨٣ - وروى **سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي " سُنَنِهِ "** عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر

بن أبي مريم عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، وضمرة بن حبيب، وحكيم بن عمير، قَالُوا: إِذَا سُوِّيَ عَلَىٰ الْمَيِّتِ قَبْرُهُ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ، فَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ لِلْمَيِّتِ عِنْدَ قَبْرِهِ: يَا فُلَانُ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاث مَرَّاتٍ، يَا فُلَانُ! قُلْ: رَبِّيَ اللهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، نَبِيِّي مُحَمَّدٌ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ.

قلت: وهذا خبر لا يصح ففيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف صاحب مناكير بل قال الدارقطني متروك.

١٨٤ - وجاء في «تعليقة علىٰ العلل لابن أبي حاتم ت جاد الله» (ص١٥٢): «وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: ضَعَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ، قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الشَّامِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَدِيءُ الْحِفْظِ، يُحَدِّثُ بِالشَّيْءِ وَيَهِمُ فِيهِ، لَمْ يَفْحُشْ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّىٰ اسْتَحَقَّ التَّرْكَ، وَلا سَلَكَ سُنَنَ الثِّقَاتِ حَتَّىٰ صَارَ يُحْتَجُّ بِهِ، فَهُوَ عِنْدِي سَاقِطُ الاحْتِجَاجِ بِهِ إِذَا انْفَرَدَ».

وعموم أخبار هذا الباب لا تثبت رواية

وقد عمل بها بعض أهل الشام دون سائر العلماء

١٨٥ - كما جاء في «الجامع لعلوم الإمام أحمد -الفقه» (٧/ ١٣٤):

«قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول: يا فلان بن فلانة، اذكر ما فارقت عليه الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله.

فقال: **ما رأيت أحدًا فعل هذا إلا أهل الشام**، حين مات أبو المغيرة، جاء إنسان فقال ذلك، وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريم، عن أشياخهم، أنهم

كانوا يفعلونه، وكان ابن عياش يروي فيه ثم قال فيه: إنما لا يثبت عذاب القبر».

١٨٦ - **وجاء في «المغني» لابن قدامة (٣/ ٤٣٧):** «فصل: فأمَّا التَّلْقِينُ بعدَ الدَّفْنِ، فلم أجِدْ فيه عن أحمدَ شَيْئًا، ولا أعْلَمُ فيه لِلْأَئِمَّةِ قَوْلًا، سِوَىٰ ما رواهُ الأثْرَمُ، قال: قلتُ لأبِي عبدِ اللهِ: فهذا الذي يَصْنَعُونَ إذا دُفِنَ المَيِّتُ، يَقِفُ الرَّجُلُ...».

وأما من حيث الدلالة فليس فيه طلب الدعاء من الميت الذي هو من جنس الإستشفاع به.

وغاية ما فيه – لو صح – إرشاده وتلقينه وتذكيره وهذا من جنس الدعاء له بالتثبيت.

١٨٧ - **روى أبو داود في سننه:** حدَّثنا إبراهيمُ بن موسىٰ الرازيُّ، حدَّثنا هشامٌ – يعني: ابن يوسف–، عن عبدِ الله بن بَحِير، عن هانئ مولىٰ عثمانَ عن عثمان بن عفان، قال: كان النبيُّ – ﷺ –إذا فرغ من دفن الميت وقفَ عليه فقال: **"اسْتَغْفِرُوا لأخيكُم وسَلُوا له بالتثبيت؛ فإنه الآن يُسألُ".**

فليس في قولك له قل لا إله إلا الله طلب نفع منه بدعوة وغيرها من المنافع وهذا وجه الشرك في الاستشفاع بالميت بطلب الدعاء منه.

وإنما جاء في صورة محددة تذكيره بالخير و بما ينبغي أن يقول من الحق وهذا نفع له من جنس الدعاء له والصدقة ونحوها مما ينفعه ثوابه بعد انقطاع عمله.

أما الشرك هو في أن يطلب الحي نفعا من الميت عند قبره سواء كان علىٰ جهة السببية أو علىٰ جهة الاستقلالية.

قلت: وهذا يؤكد لك أن القوم قياسون لقياسات معكوسة لأن قلوبهم منكوسة

فيشبهون الذي يطلب من الميت نفعا لينتفع به الطالب من الميت تسببا أو تفردا بعد انقطاع عمل الميت علىٰ الذي أمر ميتا بخير لينتفع الميت في نفسه وليس يطلب الحي نفعا يرجع له من الميت لا سببا ولا استقلالا.

مع أن هذه الصورة المذكورة خلاف أصل الباب فتبقىٰ مقصورة علىٰ المورد فلا يقاس عليه غيرها فانتبه.

خامسا: مما احتجوا به تلبيسا وتشويشا علىٰ المحكمات.

١٨٨ - ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور: قال حدثنا الحسن بن عبد العزيز عن عمرو بن أبي سلمة عن عمر بن سليمان قال: «مات رجل من اليهود وعنده وديعة لمسلم وكان لليهودي ابن مسلم فلم يعرف موضع الوديعة فأخبر شعيبا الجبائي فقال إيت برهوت فإن دونه عين تسبت فإذا جفت في يوم السبت فامش عليها حتىٰ تأتي عينا هناك فادع أباك فإنه سيجيبك فاسأله عما تريد ففعل ذلك الرجل ومضىٰ حتىٰ أتىٰ العين فدعا أباه مرتين أو ثلاثا فأجابه فقال أين وديعة فلان قال تحت أسكفة الباب فادفعها إليه والزم ما أنت عليه».

قلت: وهذه القصة المذكورة سندها فيه عمر بن سليمان وهو الدمشقي وهو مجهول لا يعرف.

وبعضهم ضبطه عمرو بن سليمان وهو مجهول غير معروف والله أعلم.

أما شعيب الجبائي فهو صاحب كتب وأخبار يشبه وهب بن منبه.

١٨٩ - جاء في "العلل" رواية المروذي وغيره (٤٨٠): قال الميموني: «وقال أبو

عبد الله، وذكر شعيبًا الجبائي، قال: رجل قرأ الكتب يشبه وهبًا».

وقد جعله ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل هو بعينه شعيب بن الأسود ولم يذكره بجرح ولا تعديل.

وأما البخاري في تاريخه ففرق بينهما ولم يذكرهما بشيء بل سكت فله حكم المجهول.

وأما أبو الفتح الأزدي قد تفرد فحكم عليه بأنه متروك **فالذي يظهر -والله أعلم- أن سند القصة فيه جهالة عمر أو عمرو بن سليمان فهي لا تثبت** من هذا الوجه مع غرابة في متنها.

-ومع ذلك لو مشيناها فلا دلالة فيها علىٰ جواز طلب النفع من الميت في صورة الشفاعة أو الدعاء أو غيره وذلك.

أولا: قوله له [إيت برهوت فإن دونه عين تسبت فإذا جفت في يوم السبت فامش عليها حتىٰ تأتي عينا].

فأمره أن يأتي برهوت وفيها أرواح الكفار ولم يقل إيت قبره الذي دفن فيه

وهذا التفريق قد يقال أنه غير مؤثر لكن سيظهر لك تكملته وتمام النقض به في الوجه الذي بعده والذي بعده إن شاء الله.

ثانيا: قوله له [فادع أباك فإنه سيجيبك فاسأله عما تريد]

وقوله [سيجيبك] هذه الإجابة مقيدة بإذن الله الكوني لأن الميت لا يجيب من نفسه لعدم وجود قدرة سابقة له علىٰ الفعل كما تقدم من قبل فانتبه واستحضر المحكمات.

ثالثا: المحكم أن الميت لا يجيب بنفسه من دعاه كما حديث القليب قال ﷺ «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، **وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ**» وفيه رواية " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ **لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا** ".

لكن إذا شاء الله أن يجيب من دعاه علىٰ جهة الآية فهي إما من جنس براهين النبوة أو من جنس الكرامة للأولياء مع التفاوت بين ما يعطاه النبي وما يعطاه الولي بل آيات الأولياء هي تابعة لآيات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ داخلة ضمنها.

١٩٠ – قَالَ **ابن أبي الدنيا في كتابه من عاش بعد الموت:** حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُوسَىٰ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ، قَالَ: " سَأَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام قَالُوا: يَا رَوْحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ إِنَّ سَامَ بْنَ نُوحٍ دُفِنَ هَاهُنَا قَرِيبًا **فَادْعُ اللهَ أَنْ يَبْعَثَهُ لَنَا** قَالَ: **فَهَتَفَ نَبِيُّ اللهِ بِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا وَهَتَفَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا**، فَقَالُوا: لَقَدْ دُفِنَ هَاهُنَا قَرِيبًا **فَهَتَفَ نَبِيُّ اللهِ فَخَرَجَ أَشْمَطُ** قَالُوا: يَا رَوْحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، نُبِّئْنَا أَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ شَابٌّ فَمَا هَذَا الْبَيَاضُ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ عليه السلام: مَا هَذَا الْبَيَاضُ؟ **قَالَ: «ظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنَ الصَّيْحَةِ فَفَزِعْتُ»**.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

وفيه أن عيسىٰ بن مريم ﷺ هتف بسام بن نوح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند قبره فأحياه الله له وأجابه بإذن الله وهذا من جنس براهين النبوة.

فيكون حصول جنس الفعل لا يقع إلا علىٰ جهة الآية بإذن الله وحده وليس بقدرة سابقة للحي ولا للميت فانتبه.

فالخلاصة أنه لو ثبتت القصة لكانت كرامة حصلت لهذا الشخص بإذن الله والحكمة منها أن يثبت علىٰ دين الإسلام ويكفر باليهودية التي عليها أبوه ولذلك جاء في آخر القصة **[والزم ما أنت عليه]**.

رابعا: فإذا علمت أن الفعل وقع علىٰ جهة الكرامة فإن باب الكرامات لا يقاس عليه ولكنها فضل من الله وآية منه يصدق بها لأنها علىٰ خلاف المعهود المعروف

خامسا: أن المسلم لم يسأل أباه حتىٰ أحياه الله له قال [فدعا أباه مرتين أو ثلاثا فأجابه] فبعد أن أجابه وهو حي كلمه بطلبه.

فوقوع الطلب بعد أن أحياه الله له لا قبلها بخلاف من سأل ميتا الدعاء عند قبره فهو يقدم الطلب منه بالدعاء والشفاعة وهو لم يجبه أصلا لعدم قدرته علىٰ الإستجابة

سادسا: الوارد في القصة أنه سأل أباه بعد أن رد الله له روحه في الدنيا كما سأل المسيح سام بن نوح بعد حياته عليهم الصلاة والسلام.

وهذا بخلاف من يسأل ميتا فهو يسأله بعد مماته وقد فارق دار الدنيا وصار في دار الآخرة.

سابعا: الوارد في القصة هو أنه سأل أباه بعد أن رد الله له روحه فيما يقدر عليه وهو حي بينما الذي يسأل ميتا الدعاء له والشفاعة هو يسأله ما لا يقدر عليه في مماته لانقطاع عمله ولا قدرة له سابقة علىٰ فعل الطلب.

ثامنا: لم يفهم أحد من السلف من خلال هذه القصة ما فهم القبريون وأزواجهم علىٰ جواز الطلب من الميت الدعاء أو الشفاعة فشرط صحة الدليل هو أن يعمل به السلف وإلا كان مهجورا وإنما يروون هذه الأخبار لو ثبتت علىٰ جهة بيان العبرة

والعظة والآية لا علىٰ جهة استنباط الحكم والعمل بها فانتبه.






فصل فينقض ما ذكروه من تعليلات عليلة وقيود فاسدة

لو تأمل عاقل شبهات القوم من جهة النظر أدرك أنهم يتحكمون ويقيدون بمجرد رأيهم المجملات والإطلاقات الشرعية الواردة في دعاء غير الله تعالىٰ.

فالسلف في كتب التفسير أمروا ظواهر النصوص التي فيها دعاء الموتىٰ دون تفصيل أبدا بل أطلقوا وعمموا فالمفصل بين طلب وآخر من الميت يلزمه الدليل المخصص والمقيد.

كما أن السلف أمروا آيات الاستشفاع أي طلب الدعاء كما وردت دون تفصيل بين حال وأخرىٰ فالمفصل المستثني يلزمه الدليل.

فهذه قاعدة راسخة استحضرها دائما حال مناقشة هذه المسألة الفارقة بين دين الموحدين ودين المشركين.

فمما ذكروه من قيود موهومة وتفاصيل مظنونة الآتي

أولا: قالوا **[مشركو العرب عبدوا الأوثان رجاء شفاعتها أما الذي يطلب الدعاء من الميت فهو لم يعبد الميت].**

والجواب أن قولكم أن مشركي العرب عبدوا الأوثان رجاء شفاعتها هو حق ومن جملة العبادة الدعاء فهو كانوا يسألونها أن تسأل الله لهم وهذا شرك

الوسائط فكانوا يسألون أوثانهم الشفاعة والتي هي بعينها الدعاء.

١٩١ - قال **ابن أبي حاتم في تفسيره:** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِيُّ، ثنا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ: قَالَ النَّضْرُ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَتْ لِي اللاتُ وَالْعُزَّىٰ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِبـًا.

فقول النضر بن الحارث شفعت فهو فعل ماضي بمعنىٰ المضارع أي تشفع لي ومعناه تدعو لي فالمشرك كانوا يسألها الشفاعة والدعاء عند الله.

١٩٢ - روى **الطبري في تفسيره:** حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنىٰ يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿**وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢**﴾ [سورة النجم:١-٢]. فقرأها رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا بلغ: ﴿**أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠**﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]. ألقىٰ عليه الشيطان كلمتين: **تلك الغرانقة العلىٰ، وإن شفاعتهنّ لترجىٰ**، فتكلم بها. ثم مضىٰ فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلىٰ جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر علىٰ السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: **قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده.**

فالمقصود أن من جملة عبادات المشركين للموتىٰ كاللات يرجون شفاعته أي دعاءه لهم عند الله.

ثانيا: قالوا **[الشرك هو أن يطلب من الموتىٰ الفعل بأن يغيثه لكشف ضره بخلاف لو طلب منه أن يدعو الله له بكشف ضره].**

والجواب أن يقال هذا خلاف المحكم من كتاب الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ [سورة يس:٢٢-٢٤].

فالرجل الموحد تبرأ من الشرك إذا أراد الله به ضرا بمشيئته سبحانه من وجهين

الأول: قال لا تغني عني شفاعتهم أي دعاؤهم الله لي في كشف الضر فهي عاجزة لا تقدر.

الثاني: لا تنقذني بنفسها من الضر لعجزها أيضا.

١٩٣ – قال مقاتل في تفسيره: ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ لا تقدر الآلهة أن تشفع لي فتكشف الضر عني شفاعتها وَلا يُنْقِذُونِ من الضر.

ثالثا: قالوا: **قول الحي للميت يا فلان ادع الله لي ليس بعبادة لأن قول الحي للحي ادع الله لي ليس بعبادة لهذا الحي.**

والجواب قد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العرب دل علىٰ أن النداء الذي هو طلب لحصول مطلوب هو مسمىٰ الدعاء، ومعناهما واحد، ويأتي في هذا ما يكفي ويشفي إن شاء الله تعالىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ [سورة الأحقاف:٥] الآيات.

وهذا صريح في أن المراد بهذا الدعاء السؤال والطلب من غير الله، وهذه حال الميت والغائب لا يستجيب للداعي، وهو أيضا غافل عنه.

ويقال أيضا أن طلب الحي من الحي الدعاء مشروع لأنه سأله ما يقدر عليه فالحي له قدرة سابقة علىٰ الدعاء بخلاف الميت فلا يوجد دليل يدل علىٰ مشروعية سؤال الحي الميت الدعاء وكذلك الميت لا قدرة له سابقة علىٰ الإجابة.

فمن سأل حيا الدعاء فقد سأل من يجيبه بخلاف من سأل ميتا فقد سأل من لا يجيبه فانتبه.

رابعا: قالوا **[كان مشركو العرب يتشفعون بالأموات بقيود منها**

١-لاعتقادهم أن الله لا يعلم حالهم إلا بواسطة الشفعاء

٢-أو يعتقد أنهم وسائط تؤثر في فعل الله تعالىٰ

٣-أو يعتقد أن الله لا يعطيه إلا بواسطة الميت

٤-أو يدعوه من بعيد]

والجواب أن هذه القيود لا دليل عليها من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا إجماع السلف وآثارهم بل هي محض رأي وهوىٰ.

فالقيد الأول: باطل لأن مشركي العرب كانوا يقرون أن الله تعالىٰ عليم وهو من أسمائه الحسنىٰ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [سورة الزخرف:٩].

وأما القيد الثاني: فالزعم أن الواسطة المخلوقة تؤثر في إرادة الله وفعله هو قول غلاة القدرية الذي ينكرون القدر و يلتزمون أن مشيئة العباد تؤثر في مشيئة الله تعالىٰ وإرادته.

١٩٤ - **قال الفريابي في القدر**: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْغَنَوِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، وَيَزِيدَ بن زريع وَبِشْرَ بْنَ الْمُفَضَّلِ، وَالْمُعْتَمِرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، عَنْ رَجُلٌ زَعَمَ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشَاءَ فِي مُلْكِ اللهِ مَا لَا شَاءَ، فَكُلُّهُمْ قَالَ: كَافِرٌ، مُشْرِكٌ، حَلَالُ الدَّمِ، إِلَّا مُعْتَمِرٌ، فَإِنَّهُ قَالَ: إِنْ أَحْسَنَ السُّلْطَانُ اسْتَتَابَهُ

١٩٥ - **قال الخلال في السنة**: وَأَخْبَرَنِي مَنْصُورُ بْنُ الْوَلِيدِ، أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّسَائِيَّ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ أَنَّ رَجُلًا مُحَدِّثًا قَالَ: مَا شَاءَ اللهُ يَفْعَلُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْ، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ: **مَا شَاءَ اللهُ، أَوْ لَا يَشَأْ اللهُ يَفْعَلُ، فَاسْتَعْظَمَ ذَاكَ**، قُلْتُ: يُسْتَتَابُ؟ قَالَ: أَيْشٍ يُسْتَتَابُ؟ قَالَ: **هَذَا الْكُفْرُ**.

فإذا علمت أن هذه مقالة غلاة القدرية فيقال إن العرب في جاهليتها لم تكن تنفي القضاء والقدر بل كانوا قدرية جبرية يثبتون مشيئة الله تعالىٰ والقدر ليسقطوا بها الأمر والنهي الشرعي.

كما قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [سورة الأنعام:١٤٨-١٤٩].

١٩٦ - قال **أبو داود في السنن:** وحدَّثنا هَنَّادُ بنُ السَّريِّ، عن قَبيصةَ، قالا: حدَّثنا أبو رجاء، عن أبي الصَّلْت -وهذا لفظ حديث ابن كثير ومعناهم-قال: كَتَبَ رجلٌ إلىٰ عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر، فكَتَب: أما بعدُ، أوصيكَ بتقوىٰ الله، والاقتصادِ في أمره، واتباعِ سنَةِ رسوله - ﷺ -، وتركِ ما أحدَثَ المُحْدِثون بعد ما جَرَت به سُنته، وكفُوا مُؤْنته، فعليكَ بلزوم السنة، فإنها لك -بإذن الله-عصمة.... ما أعلَمُ ما أَحْدَثَ الناسُ من مُحْدَثةٍ، ولا ابتدعوا من بدعةٍ هي أبينُ أثراً ولا أثبتُ أمراً من الإقرار بالقَدَر، **لقد كان ذكرُه في الجاهليةِ الجهلاء، يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يُعَزُّون به أنفسَهم علىٰ ما فاتهم، ثم لم يَزِدْهُ الإسلام بعدُ إلا شِدَّةً].**

وأما القيد الثالث: وهو الزعم أن الله لا يعطي السائل مطلوبه إلا بواسطة الميت وإلا فلا يتحقق له مطلوبه هو مجرد دعوىٰ للتشغيب والتلبيس.

فالعرب في شركهم كانوا يشركون في الرخاء ويخلصون الدعاء في الشدة.

فهم لا يتخذون الواسطة إلا في حال الرخاء فإذا نزل الضر لا يتخذون الواسطة بل يسألون الله مباشرة مخلصين له التوجه.

فمن أين يقال أن من دينهم أن الله لا يعطيهم المطلوب إلا من خلال الوسائط فحسب؟

وما الدليل علىٰ هذه الدعوىٰ الموهومة؟

بل المعروف أن اتخاذهم الوسائط كان لزعمهم أن لها عند الله منزلة كما فرحوا بمقالة [تلك الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن ترتجىٰ].

١٩٧ - روى **ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق موسىٰ بن عقبة،** عن ابن شهاب قال: لما أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه...

وحين ذكر الطواغيت فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلىٰ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجي، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب مشرك بمكة، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها.

١٩٨ - قال **مقاتل في تفسيره**: تلك الغرانيق العلىٰ، عندها الشفاعة ترتجىٰ، **فلما سمع كفار مكة أن لآلهتهم شفاعة فرحوا.**

١٩٩ - جاء **في «غريب الحديث -ابن الجوزي» (٢/ ١٥٥):** «قَالَ ابْن الْأَعرَابِي الغرانيق الذُّكُور من الطير وَاحِدهَا غرنوق وغرنيق **وَكَانُوا يدعونَ أَن الْأَصْنَام تشفع لَهُم فشبهت بالطيور الَّتِي ترْتَفع إِلَىٰ السَّمَاء»**.

٢٠٠ - قال **الطبري في تفسيره** [وهذا خبرٌ من الله تعالىٰ ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، أنهم يقولون عند حلول سَخَط الله بهم، وورودهم أليمَ عذابه، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسلُ الله تعِدهم: هل لنا من أصدقاءَ وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا.... **قال هذا القولَ المساكينُ هنالك، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خُلة فيه لهم ولا شفاعة].**

- **وقال أيضا** [فتأويل الآية إذا: واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس حقا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع، فيترك لها ما لزمها من حق.

وقيل: إن الله ﷻ خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها، **لأنهم كانوا من يهود بني إسرائيل، وكانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وسيشفع لنا عنده آباؤنا.** فأخبرهم الله جل وعز أن نفسا لا تجزي عن نفس شيئا في القيامة، ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها حتىٰ يستوفىٰ لكل ذي حق منها حقه].

قلت: فالمتقرر أن المشركين يستشفعون بالموتىٰ لأنهم أزكىٰ عندهم منزلة وجاها ومكانة عند الله تعالىٰ وهذا الحال هو واقع المشركين قديما وحديثا.

٢٠١ - قال **الطبري في تفسيره:** حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [سورة النساء:٤٩].، **وذلك أن اليهود قالوا:"إن أبناءنا قد تُوُفُّوا، وهم لنا قربة عند الله، وسيشفعون ويزكوننا"!** فقال الله لمحمد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ إلىٰ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النساء:٤٩].

أما القيد الرابع: فهو غير متحقق لعدم الدليل ولم يحددوا الحد الفاصل بين القرب والبعد بالنص فهو تفريق بالرأي المجرد والهوىٰ المفند.

ثم يقال لهم البعيد الذي يطلب الدعاء من الميت.

أليس قد يبلغ الصوت فيكون هناك إمكانية الجواب كما تقررون؟

وعليه لماذا تجزمون بالتكفير؟

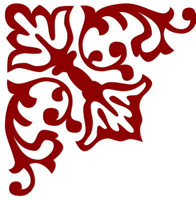
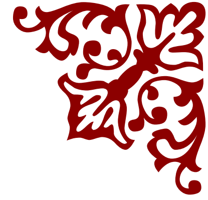
فإن قلتم أعطاه سمعا مطلقا...

فالجواب من سأله وهو ميت ما لا قدرة له سابقة علىٰ إجابته مثل الذي يناديه

من بعد ولا قدرة له علىٰ سماعه فالباب واحد لو تعقلون، بل النبي ﷺ يبلغ الصوت البعيد في السلام عليه ولكنه لا يجيب بحال لمن طلب منه ودعاه عليه الصلاة والسلام ولو كان عند قبره، فالخلاصة أن هذا قيد لا دليل عليه وغير منضبط في نفسه، فهذه جمل ما يحتج به هؤلاء وقد نقضت أصولها في ضمن الأجوبة السابقة ولله الحمد والمنة فراجع عموم الأجوبة العلمية التي كتبت حتىٰ تفهم المسألة وتزول عنك باذن الله الأوهام التي يلبس بها القبريون وأزواجهم.

والحمد لله رب العالمين



الفهرست

